

مخطوطات البحر الميت



تأليف

بيندكت أوتسن

أستاذ اللاهوت بجامعة أرهوس

تعريب: كبرييل كوركيس

مخطوطات البحر الميِّت

(مخطوطات قمران)

تأليف

بيندكت أوتسن

أستاذ اللاهوت بجامعة أرهوس

تعريب

گبرييل گورگيس

2010

المحتويات		
5		• مقدمة المُعَرَّب
8	• أكتشاف المخطوطات في صحراء اليهودية	• الفصل الأول
8	- الأرض المقدسة	
11	- صبي بدوي في رحلة أستكشاف	
14	- في بيت لحم	
15	- في أورشليم القدس	
17	- الحرب (1947 - 1948)	
20	- تسريب المخطوطات الى أمريكا	
20	- أكتشافات جديدة	
22	- في المتحف بالقدس	
24	• الخبراء يفحصون لفائف المخطوطات	• الفصل الثاني
24	- الجلد والرَّق	
25	- تحديد تاريخها	
26	- من الكتابة الصورية الى الألفبائية	
29	- الجرار	

29	- الفحص بالكربون الذري	
30	- النقود	
32	• الحياة اليومية في قُمران	• الفصل الثالث
32	- الخرائب	
33	- مراحل الأستيطان الثلاث	
35	- تصميم البناء	
38	- كتاب الطائفة	
39	- قبول عضو جديد في جماعة قمران	
41	- نظام المراتب	
42	- دراسات كتابية أثناء الليل	
43	- أجتتماعات الشورى	
44	- المائدة المشتركة	
45	- تجديد العهد (الميثاق) سنوياً	
48	- الأسيينون	
49	• ثورة اليهود في القرن الثاني قبل الميلاد	• الفصل الرابع
49	- ثورة المكابيين	

51	- تاريخ اليهود في الألفية الأولى قبل الميلاد	
52	- خلافات داخلية عقب الثورة	
54	• ماذا تُنبئ المخطوطات عن تاريخ الجماعة	• الفصل الخامس
54	- ما يُمكن استخدام الكتاب المقدَّس له	
57	- الرومان	
59	- "الكاهن الشرير" و "معلم الحق"	
64	- الدُرج النحاسي	
68	- التنقيب عن الكنوز	
71	• تعاليم وعقائد جماعة قُمران	• الفصل السادس
71	- الفريسيون و "الأتقياء"	
73	- آخر الأزمنة	
76	- دُرج الحرب	
78	- جماعة قمران والمسيحييون الأوَّلون	

مقدمة المعرب

"مخطوطات البحر الميِّت" تسمية أُطلِّقت على مجموعة المخطوطات القديمة التي تم العثور عليها في ما بين عام 1947 وعام 1956 داخل كهوف ومغائر الجبال المطلّة على الساحل الغربي للبحر الميِّت ، وهي تحديداً منطقة قمران والميرد ووادي مربعات وعين جدي ومسادا .

ويعترض الأب ديفو على تسميتها بمخطوطات البحر الميِّت زاعماً أنها لم تُخَرَج من البحر الميِّت ، ويؤثِّرُ تسميتها بـ"مخطوطات قُمران" ، وهناك مَنْ لا يوافقُه الرأي في ما ذهب إليه ، بحجة أن التسمية الأخيرة غير شاملة نظراً لكون بعض المخطوطات قد وُجِدَت في أماكن أخرى في تلك الناحية من البحر الميت .

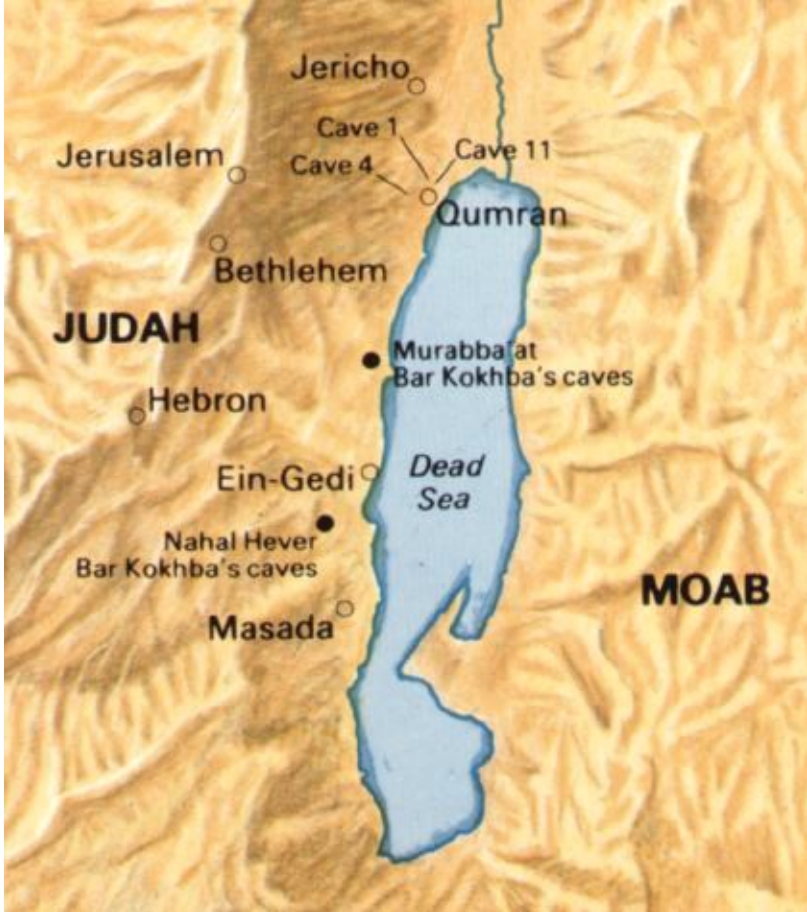
ومنذ عام 1947 تواصلت حملات التنقيب في المنطقة فبلغ عدد الكهوف التي عُثِرَ فيها على مخطوطاتٍ أحد عشر كهفاً ، أما المخطوطات التي تم العثور عليها فأهمها : مخطوط أشعيا النبي ، وهو سفر أشعيا من العهد القديم وشرح سفر حبقوق والتعليق عليه وكتاب النظام ، وهو يتناول نظام حياة الطائفة، وسفر لامك ، وهو مخطوط باللغة الآرامية، ومخطوط حرب أبناء النور على أبناء الظلام والمزامير وهي تسابيح الشكر .

والمخطوطات التي نحن بصددھا هنا تعود لجماعة دينية متنسكة عاشت في خرائب قمران ومغائرھا في المئة الأولى قبل الميلاد ، والمخطوطات تُلقِي الضوء على تاريخ تلك الجماعة ومعتقداتها وقوانين حياتها وتنظيمها الاجتماعي .

ولمخطوطات البحر الميِّت قصة مشوّقة وطريفة ، لذلك فلا غرابة في ما أثاره أكتشافها من اهتمام واسع النطاق وما أحدثته من أثر عميق على تفكير الباحثين في تاريخ الكتب المقدسة ، اليهود منهم والمسيحيين على حد سواء في العالم كله .

وفي الحقيقة هنالك الكثير مما تتم دراسته وبحثه ومناقشته من نصوص المخطوطات ، رغم أنه لم يتم التوصل حتى الآن الى أي أجماع في الرأي حول فهم نصوصها، ولا يزال باب البحث والأجتھاد مفتوحاً على مصراعيه أمام الباحثين والدارسين .

كبرييل گورگيس - آذار 2010



الخارطة تُظهر موقع قمران على البحر الميت

الفصل الأول

أكتشاف المخطوطات في صحراء اليهودية

الأرض المقدسة

بالتأكيد قد حاولنا جميعنا ، منذ المرة الأولى التي سمعنا فيها عن قصص الكتاب المقدس سواء في البيت أو في المدرسة ، صَوَّر تلك الأماكن التي تجري فيها أحداث روايات الكتاب المقدّس . وقد رسمنا في خيالنا صور المناظر والمدن وحتى الشخصيات التي سمعنا عنها . لكن تصوّر بلاد غريبة أمر عسير - فضلاً عن كون تلك البلاد بعيدة عن بلادنا . والأمر ينطبق تماماً على فلسطين : لأنه رغم صغر البلاد - ليس أكبر من يولاند 1 - فهي تضم تباينات طبيعية يكاد المرء لا يصدّقها .

فالجليل نحو الشمال ، وخاصة المناطق المحيطة بالناصرة وبحيرة جينسارت ، تُعدّ من أجمل مناطق البلاد . وهنا يشاهد الإنسان تلك الشاعرية التي غالباً ما

1 . شبه جزيرة يولاند في الدانمارك تشغل ثلثي مساحة أراضي المملكة الدانماركية أي 29.777 كلم مربع .

أما مساحة فلسطين فلا تزيد عن 27.000 كلم مربع . (المعرب)

يشاهدها في صور الكتاب المقدّس : سفوح سلاسل التلال الخضراء والوديان الخصيبة حيث يسرح الرعاة بقطعانهم أو يخلدون للراحة في ظلال أشجار النخيل ، بينما تروي حيواناتهم عطشها من الينابيع الرقراقة . لكن هذه ليست سوى صورة غير مكتملة لأرض الكتاب المقدس : فمن الخطأ البالغ التصوّر ، أن كل فلسطين تبدو على هذا النحو . أي على نفس القدر من شاعرية الجليل ، بل على قدر مساوٍ من القساوة والقفر هي جبال اليهودية الواقعة الى شمال وجنوب أورشليم: فهناك لا وجود لسلاسل الروابي الياضعة الخضار ، بل الأجرُف الشديدة الأنحدار ، والصخور الناتئة في كل مكان لا تترك سوى مساحات ضيّقة لنمو الأعشاب والشجيرات وأشجار الزيتون . والمدن في منطقة الجليل متجاورة بكثافة ، أما في اليهودية فالمسافات شاسعة ما بين المناطق المأهولة . وأشرطة الوديان التي يمكن زراعتها ، ضيّقة وملينة بالحجارة . وهذه المناطق تلائم النعاج والماعز جيداً . وحينما يُقل المرء القطار متوجهاً من السهول الساحلية الى أورشليم ، يمر به عبر وديان وممرات ضيقة بين الجبال ، وبالكاد يرى المرء بيتاً واحداً خلال ساعتين تقريباً من المسير . قبل الوصول الى أورشليم الواقعة على ارتفاع 800 متراً .

الى الشرق من أورشليم تبدو الأرض أكثر قفراً وجدباً ، حيث لا توجد في الواقع أي مدن سوى الرمال والصخور والسفوح الشديدة الأنحدار والوهاد الغميقة

الأغوار . حينما يبلغ المرء غور الأردن حيث الخصوبة ، هناك تقع أريحا وعدد آخر من المدن . القسم الجنوبي من غور الأردن والبحر الميِّت يبلغ انخفاضه 400 متر تحت مستوى سطح البحر . والمناخ حار جاف لا يُحتمَل في الصيف — وله تقريباً صفات مناخ شبه أستوائي .

المنطقة الممتدة ما بين أورشليم (القدس) غرباً وأريحا والبحر الميِّت شرقاً تُعرف بصحراء اليهودية . وتبعاً لما ذكره يسوع المسيح عن السامري الصالح يتكون لدينا أنطباع عن مدى خطورة التجوال في تلك البقاع في حينه، فاللصوص وقطاع الطرق الذين كانوا يأوون الى الكهوف والمغاور في الجبال القريبة، جعلوا الترحال غير آمن لا سيما لمن كان يتجول وحيداً . ولم تزل تلك المنطقة على ما كانت عليه في سابق عهدها من خطورة، فالبدو الذين يجوبون ربوعها يُعدّونها منطقتهم ، وهم يعيشون ذات النمط الذي عاشه أسلافهم قبل ألفي عام . إذ يسكنون الخيام ويُقيمون أو دَهم من تربية الماعز والأبل الى جانب تجارة محدودة وعمليات تهريب ، فيدُ المجتمع المتمدن لم تمسها بعد ، خلا أقتنائهم بعض الأسلحة النارية . ولأولئك البدوي يعود الفضل في أكتشاف مخطوطاتٍ تعود لألفي سنة خلت ، وهي التي سنتحدث عنها ههنا .

صبي بدوي في رحلة أستكشاف

في يوم ربيعي من عام 1947 كان صبي بدوي يُدعى محمد الذيب يتجول بين الصخور التي تُطل بمنحدراتها الشديدة من صحراء اليهودية على الساحل الشمالي الغربي للبحر الميِّت . فعثر على مغارة في سفح صخري عالٍ ، وعلى الرغم من وجود ما لا يُعدّ ولا يُحصى من المغاور المتماثلة في تلك المنطقة إلا أنها لفتت أنتباه محمد الذيب وأثارت أهتمامه وفضوله ، فتسلق بمشقة وعناء بالغين ليُلقي نظرة الى داخل تلك المغارة . ولشدة سطوع الضوء في الخارج لم يستطع رؤية شئ في المغارة الظلمة ، فألتقط حصاةً وقذف بها الى داخل عتمة المغارة ليسمع صوتاً كصوت تكسّر الخزف الصيني ، ولم يتجرأ على ولوجها فعاد أدراجه الى خيمة أهله . وكان صاحبه على ما يبدو أكثر منه جرأة وإقداماً ، فصحبه الى المغارة وهما يمينان النفس بالعنور على كنز ثمين ، وتعاوننا على التسلق وولوج المغارة ، فخاب ظنهما للوهلة الأولى ، حيث مساحة المغارة لا تزيد عن المترين عرضاً وحوالي سبعة أو ثمانية أمتار عمقاً وأرتفاعها زهاء مترين أو ثلاثة أمتار وأرضيتها مغطاة بعدد هائل من شظايا وكِسِر الجرار الفخارية (الخزفية) وجذاذات الرّق . ولم يعثرا على الذهب الذي كانا يحلمان به، لكن الجرار الكبيرة المغطاة شدّت أنتباههما ، فأنتعشت آمالهما مجدداً

بالحصول على كنوز الذهب ، وما أن أزاحا غطاء إحدى الجرار حتى أُصيبا بالخيبة مجدداً ، فجَلَّ ما عثرا عليه في تلك الجرة كان رقاً ملفوفاً متلاصقاً (بهَيْئَة لفافة متلاصقة) ، فقاما بأفراغ الجرة ليُخرجا من داخلها لفيفة من الرق تحمل كتابة متلزنة لم يفهما منها شيئاً . وبعد تفحص سريع أدركا أن العديد من الجرار تحتوي على لفائف مماثلة لما وجداه في الجرة الأولى .

ولئلا يعودا بخفي حُنين قررا حمل عدد من أفضل لفائف الرق وبعضاً من الجرار السليمة الى خيامهم . وبعد وصولهما الى مضارب قومهم قاما ببسط أكبر اللفائف فأمتدت لتشغل الخيمة من طرفها الى الطرف الآخر ، ورغم عدم عثورهما على كنوز الذهب في تلك المغارة إلا أنهما أخذاً يُمنَّيان النفس بالحصول على بعض النقود لقاء بيع لفائف الرق الغريبة . إذ لم يعد يخفى حتى على البدو أن الأوربيين يدفعون أثماناً باهظة لقاء حصولهم على كل ما هو قديم ، لا سيما أنهما أدركا أن اللفائف التي بين أيديهما موغلة في القدم .



محمد الذيب وصاحبه



كندو مع موظفي متحف رُكفيلر

في بيت لحم

في اليوم التالي حملا اللفائف معهما الى بيت لحم، حيث أعتادا الذهاب للتبضع والمقايضة بحليب معزاتهم وجلود ووَبَرِ إبْلهم ، فقاما ثمة بعرض بعض اللفائف (المخطوطات) على أحد زبائنهم المدعو كندو الذي لم يستطع هو الآخر فك تلاسما شأنه في ذلك شأن الأعرابيين، غير أنه كان تاجراً يقظاً ونابهاً أدرك ما للمخطوطات من قيمة ثمينة كما أنه وضع في الحسبان احتمال كونها مخطوطات جديدة مما قد يقلل من قيمتها، فتظاهر أمام البدويين بعدم الأكرات لبضاعتهما، قائلاً أن بوسعه في أحسن الأحوال الأستفادة من الجلود لترقيع أحذية زبائنه ، حيث كان يعمل أسكافياً ، وعرض عليهما ثمناً بخساً لقاء كل لفيفة من تلك اللفائف التي سيبلغ ثمنها فيما بعد ملايين الدولارات .

وهنا تبدأ حبكة الرواية فكل من كندو والبدويين يعلمون أنهم بفعلتهم هذه ينتهكون حرمة القانون ، فهم يدركون تمام الإدراك أن التَّحْف والآثار والمخطوطات وما شابه هي مَلِك للدولة ولا يحق لأي مواطن التصرف بها ، كما يتوجب على المواطنين تبليغ السلطات المعنية عن المكتشفات . لكنهم تمادوا فأعادوا الكزّة وقاموا بجولة جديدة في المغارة وجلبوا المزيد من الجرار والعديد من كِسَر المخطوطات .

في أورشليم القدس

أخذت المشكلة في العثور على مَنْ يدفع ثمناً مجزياً لقاء الحصول على المخطوطات تتعقد بسبب الاتصالات غير القانونية التي أقدموا على إجراءها ، إذ ينبغي عليهم توخي الحذر بعيداً عن مرأى ومسمع المسؤولين!.

في العام 1947 لم تكن فلسطين دولة مستقلة ، حيث كانت خاضعة لسيطرة الأنكليز منذ الحرب العالمية الأولى، وكان رئيس المتحف الوطني الفلسطيني أنكليزياً ، يُقيم في مكتبه الكائن في متحف رُكفيلر (Rockefeller museum) في مدينة القدس . ومما لا ريب فيه أنه كان سيُطالب بتسليم كافة المخطوطات فوراً، وكان سيقوم بالأشراف شخصياً على النشر العلمي للنصوص ، كما كان سيتولى أمر التنقيبات الأثرية رسمياً في تلك المغارة . لكنه لم يعلم بالأمر إلا بعد مُضي سنة ونصف السنة ، حين قرأ عنه في نشرة أركيولوجية أمريكية! عندئذ جنّ جنونه لما أنطلى عليه من حيلة في عقر داره ، و ا فات متحفه من كنوز ثمينة .

كيف أفلح كندو في مخادعة المسؤولين؟ نعم ، أنه سرعان ما وجد مَنْ لا يقل عن الأنكليز أهتماماً بالمخطوطات - وهم على أتم الأستعداد لدفع الثمن . فكان هناك بعض الخبراء اليهود في الجامعة العبرية في القدس ، وخصوصاً عندما

يتعلق الأمر بنصوص عبرية، لغة اليهود القديمة، فأنهم لن يترددوا في دفع أي مبلغ للحصول عليها . فهم يعتبرون المخطوطات ثروة قومية ، ويدركون أن المخطوطات تعود للجامعة العبرية وليس لسواها وسيحولون دون حصول الأنكليز في متحف (رُكفيلر) عليها .

ومن ثم فهناك المدرسة الأركيولوجية الأمريكية في القدس ، حيث ينصبّ ب اهتمامها على الجانب العلمي المحض، فبمجرد علمهم بحساسية المكتشفات وخطورتها ، فأنهم سيُبدون استعدادهم لشرائها وسيبدلون جهودهم للحصول عليها وأحراز قصب السبق في معالجة النصوص علمياً وإيصال ما تتضمنه من معلومات الى سائر الأوساط العلمية في العالم . مما سيُزيد من شهرة المدرسة الأمريكية عما كانت عليه سلفاً . ولم يكن المرء هناك أيضاً راعياً في لفت أنتباه المسؤولين الأنكليز في متحف (رُكفيلر).

على المرء الإستفادة من قنوات الأتصال المتيسرة ، وهو ما فعله كندو تماماً، فهو ينتمي الى طائفة السريان الأرثوذكس في فلسطين ، والتي لها مطرانها الخاص بها في القدس . وكان كندو واثقاً من إمكانية مطرانه على قراءة نصوص المخطوطات وتقدير قيمتها الحقيقية . ورغم أن المطران لم يتمكن من قراءة نصوص المخطوطات إلا أنه أدرك أنها مكتوبة بالعبرية . وكان متيقناً من أن مثل تلك المخطوطات لم تكن قليلة القيمة . وأدرك أنها باهظة الثمن ، فلم

يتردد طويلاً بل أسرع في شرائها من كندو ، بأستثناء مخطوطتين أحتفظ بهما البدويان في مسكنهما ، فدفع المطران زهاء مائة دولار لقاء المخطوطات الخمس .

لم يعد كندو يرتاب في أهمية المخطوطات، وتيقن من أنها تصلح لما هو أفضل من ترقية الأحذية البالية، فشرع يلعب على الحبلين ، وكان قد أحتفظ بدهاء ومُكر ببضعة مخطوطات في داره بالقدس ، فسعى للاتصال بپروفيسور التنقيبات في الجامعة العبرية، الذي كانت قد تناهت الى أسماعه إشاعات عن وجود مخطوطات غريبة، فرتب لقاءً معه ليبيع للجامعة العبرية ثلاث مخطوطات وجرتين سالمتين . لم يُعرف الثمن الذي تقاضاه لقاء ذلك ، إلا أن المبلغ بلا شك يتجاوز بكثير المائة دولار التي دفعها له المطران .

الحرب (1947 - 1948)

سارت إجراءات التعامل على ما يُرام في 29 تشرين ثاني (نوفمبر) 1947. وتحديداً في ذلك اليوم أصدرت هيئة الأمم المتحدة قراراً يقضي بتقسيم فلسطين بين اليهود والعرب، وبناءً على ذلك أندلعت صدامات عنيفة بين الطرفين أدت الى رفع الأنتداب البريطاني عن المنطقة وأعلان تشكيل دولة إسرائيل في أيار 1948 .



المطران أثناسيوس يشوع يستعرض دُرْجاً للدكتور تريفر



نموذج من مخطوطات البحر الميت

وكان لتلك الأحداث السياسية تأثير كبير على مجريات قصتنا مع المخطوطات . فالقدس غدت مسرحاً للعمليات القتالية حتى أواخر عام 1948، ولم يعد بوسع المطران (أثناسيوس يشوع صموئيل)² تهريب المخطوطات الثمينة التي كانت بحوزته! وعلاقته مع الجامعة العبرية لم تكن وثيقة، إذ حالت الحواجز المقامة في الشوارع دون إمكانية التواصل معها، فلجأ المطران الى المدرسة الأمريكية القريبة من ديره³ .

وفي غضون ذلك كان المطران قد قام بجولة أستكشافية في المغارة، يُرشده إليها البدويون، وتم توسيع مدخل المغارة، ونُقِلَت الجرار والكِسِر الفخارية التي كانت تحتوي على المخطوطات، كما قاموا بقل كل ما وَجَدوه ذا قيمة . لكنه أحجم عن أخبار الأمريكيين بذلك، وأعلمهم بأن المخطوطات كانت قابضة في مكتبة الدير لعشرات السنين . وسمح للأمريكيين بتحفظ وحذر القيام بتصوير النصوص بغية نشرها، لأن الأمريكيين زعموا أن النقاش العلمي الذي سيثيره نشر تلك النصوص سيُفْنَع الجميع بِقِدَم المخطوطات مما سيؤدي الى رفع سعرها الى أرقام فلكية .

2 مطران كنيسة السريان الأرثوذكس في القدس . (المعرب)

3 دير مار مرقس التابع للسريان الأرثوذكس في القدس ، يُقال أنه العلية التي تناول فيها يسوع المسيح العشاء الرباني الأخير، كما يُعْتَقَد أن فيه تم نزول الروح القدس على تلاميذ المسيح بعد صعوده الى السماء.(المعرب)

تسريب المخطوطات الى أمريكا

بعد تفاقم حدّة النزاع إبان العام 1948س⁴ المطران المخطوطات في حقيبة وقام بتسريبها الى أمريكا4 ، و يبلغ بذلك أنتهاكه لحرمة القانون حدّ الجُرم . وبعد نشر النسخ الأمريكية للمخطوطات في عامي (50 - 1951) تمكن المطران من بيع مخطوطاته الخمس (وهي في الواقع أربع مخطوطات أنفصمت إحداهم الى شطرين) بمبلغ ربع مليون دولار . وتم ترتيب عملية البيع بسريّة تامة عن طريق أحد البنوك ، فظهر أن الطرف الذي أبتاعها هو المليونير اليهودي الأمريكي 5، الذي أهداها الى الجامعة العبرية، وبذلك إلتأم شمل المخطوطات السبع في القدس ، غير أن المطران لم يتمكن أبداً من العودة الى فلسطين .

4 تجدر الإشارة الى أن المطران أثناسيوس يشوع لم يرتحل الى الولايات المتحدة إلا بعد أن عيّنه البطريرك ممثلاً للمجمع السرياني الأرثوذكسي في أمريكا وكندا ، فأخذ معه المخطوطات الى هناك . (المعرب)
5 هو إيجال يادين وقد أشتراها لحساب الجامعة العبرية في القدس في سنة 1954 . (المعرب)

أكتشافات جديدة

ما أن أفلح البدويون وكندو في بيع المخطوطة الأولى بمبالغ أكبر في عام 1948 حتى أزدادوا جشعاً وطمعاً ، فتوقعوا العثور على المزيد من النصوص في الكهوف والمغاور ، وكان ينبغي عليهم توخي الحذر في تحركاتهم ، ورفضوا أطلاع رجال العلم في متحف رُكفيلر، الذين علموا بأمر المكتشفات في أواخر العام 1948 ، وعرفوا الطريق الى موقع أكتشاف المخطوطة الأولى ، حيث عثروا خلال عام 1949 بمساعدة المقاتلين البدويين في الجيش العربي على أولى مخطوطاتهم . كما جعلوا كندو يُظهر ما كان بحوزته من كِسَر اللفائف ، ولكن بسعر مرتفع بلغ جنيهاً أسترلينياً للسنتيمتر المربع الواحد . أي أن مخطوطة بحجم ورقة بقياس (A4 أي 30 سم x 21 سم تقريباً) بلغ سعرها نحو ألف دولار! وأن عثور البدو على المزيد من الكهوف وأتباعهم أسلوب كندو في التعامل التجاري كان سيكلف باهظاً ، فعمد المتحف الى تنظيم حملة تنقيب واسعة مهمتها مسح المنطقة بأسرها . فتم تفتيش المئات من الكهوف والمغاور، وظهر أن ما لا يقل عن أربعين كهفاً كان يحتوي على بقايا فخاريات، وزهاء عشرة منها كانت تحتوي على كميات متفاوتة من بقايا المخطوطات بأحجام مختلفة . لكن رغم حملة المسح التنقيبي الواسعة النطاق التي قام بها المتحف فقد أفلح البدويون

في العثور على المزيد من الكهوف، حيث عثروا في المغارة رقم أربعة على ما يقارب العشرين ألف شظية . وكان على رجال العلم شراؤها منهم وبأسعار باهظة ، ولم يعد الحال بأفضل مما كان عليه حين تحرك البدويون جنوباً بمسافة عشرين كيلومتراً بمحاذاة الساحل الغربي للبحر الميت ليعثروا على كهوفٍ تضم الكثير من المكتشفات، لم تقتصر على النصوص فحسب بل تعدتها لتشمل الأسلحة وبقايا ثياب تعود الى زمن المسيح عليه السلام ومقتنيات أخرى متنوعة - من بينها حذاء جلدي محفوظ بحالة جيدة - يُعتقد أنه يعود الى العصر البرونزي أي حوالي ألفي سنة قبل الميلاد . وأبعد من ذلك نحو الجنوب تم العثور في الستينيات على المزيد من الكهوف التي كانت تحتوي على مخطوطات ، وليس ثمة ما يدعونا للجزم بعدم إمكانية العثور على المزيد من المكتشفات مستقبلاً .

في المتحف بالقدس

جُلَّ ما تم العثور عليه أو تم شراؤه من الأعراب البدويين ، تم جمعه بعناية في متحف روكفيلر الكائن في القدس (أورشليم) ، حيث يوجد حالياً ما يربو عدده على (20.000 - 30.000) قطعة صغيرة من الرِّق، يُسعى لتجميعها الى بعضها

البعض لتُشكّل نصاً مترابطاً . وحجم بعضها لا يتجاوز حجم الطابع البريدي ، كما لا يُمكن قراءة أكثر من كلمة واحدة على بعض القطع وأحياناً بضعة أحرف فحسب . وقد أفلحوا أحياناً في إيجاد القِطَع المتجاورة وتم تجميعها لتكوّن نصاً متكاملاً مقروءاً ، غير أن البعض الآخر لم يُفلحوا في تجميعه وترتيبه على النحو المطلوب . والعمل يتطلب وقتاً وجهداً فهو أشبه بتجميع قطع صورة مبعثرة لتكتمل اللوحة - ومما يُزيد الأمر صعوبة هو أفتقار العديد من القِطَع! - حيث يُعتقد أن آلاف القِطَع من تلك الكِسر تعود الى أربعمئة لفيفة مختلفة ، تحتوي مئة منها على نصوص من أسفار العهد القديم (بأستثناء سفر أُستير) أما البقية فهي نصوص من كتابات جماعة قُمران . والأهم من تلك الكِسر هي اللفائف السبع المحفوظة على نحو جيد ، والتي تم العثور عليها في المغارة الأولى ، ومن خلال تنقلاتها العديدة التي تحدثنا عنها أنتهى بها المطاف لتستقر في الجامعة العبرية بالقدس، وسنعود للحديث عنها بالتفصيل لاحقاً .



متحف رُكفير في القدس حيث وضعت المخطوطات

الفصل الثاني

الخبراء يفحصون لفائف المخطوطات

الجلد والرَّق

لمئات السنين قبل 1 ييلاد عرف الإنسان في مدينة بيرغامون الواقعة في آسيا الصغرى طريقة لتحضير مادة تصلح للكتابة عليها ، حيث قام الإنسان بمعالجة جلود الأغنام والماعز بالكلس ليجعل سطحها صقيلاً فتسهل الكتابة عليه . وقد أُستُخدمت هذه الطريقة في تحضير المخطوطات التي تم العثور عليها قرب البحر الميِّت . فتم تقطيع الجلود (الرَّق) الى شرائح طويلة يتراوح عرض الواحدة منها ما بين (20 - 25 سنتمتر)، أما طولها فيتراوح ما بين نصف المتر والمتر الواحد ، تتم خياطة نهاياتها الضيقة الى بعضها ، ويزداد طول المخطوطة تبعاً لزيادة عدد الشرائح الموصولة ببعضها . وأطول مخطوطة تم العثور عليها يبلغ طولها سبعة أمتار ونصف المتر وتضم جُلَّ سفر النبي أشعيا (والنص يحتوي على ستة وستين أصحاباً) . والنص المدوّن على اللفائف مرتب في أعمدة يصل عرضها الى 15 أو 20 سنتمترًا ، أي أن كل عمود يشغل مساحة 20 x 20 سنتمترًا . واللفائف التي حُفظت على نحو جيد في الجرار الفخارية

(الخرافية)، قد تمت المحافظة عليها بشكل يبعث على الدهشة والأعجاب ، فالطقس في منطقة البحر الميت حار جاف بصورة تختلف عن سائر مناطق فلسطين . والأمطار لا تهطل إلاّ لماماً والهواء يخلو من الرطوبة تماماً ، مما ساعد على حفظ المخطوطات من ضرر التعفن . في حين أن المُرْكَبات الكيماوية للحبر قد فعلت مع مرور الزمن فعلها في تحلل المخطوطات . أما المخطوطات التي لم يتم حفظها في جرار فخارية فقد تعرضت لتلف شديد وقضمتها القوارض . فالبعض منها كان ملفوفاً بعناية فائقة بحيث لم تتمكن الجرذان من قضم سوى طرفيه ، وبذلك تمت المحافظة على نصوصها بحالة جيدة ، بينما تعرضت اللفائف التي لم تكن محفوظة بعناية الى القضم لتتساقط عن بعضها مخلفة قُرَاضَةً من آلاف القطع الصغيرة التي أستخدمتها الجرذان لبناء أوكارها .

تحديد تاريخها

حينما يتم العثور على أي أثر قديم في فلسطين يكون أول سؤال يتبادر الى ذهن الباحثين هو: كم يبلغ عمر ذلك الأثر؟ . فحينما يتعلق الأمر بالمكتشفات الفخارية يكون من اليسير الإجابة عليه . نظراً لأكتشاف أعداد هائلة من

الفخاريات في فلسطين خلال القرن المنصرم فقد بات مع ذلك بوسع المرء تحديد عمرها بسهولة ويُسّر من خلال مقارنة بسيطة للمكتشفات المتوفرة ، وعلى خلاف ذلك فمن العسير تحديد عمر المخطوطات إذ لا يوجد في متناول أيدينا حتى الآن إلا النزر اليسير من النصوص المدوّنة بالعبرية القديمة وتبعاً لذلك ففرص مقارنتها مع مثيلاتها ضئيلة ومحدودة . لذلك يتعذر علينا متابعة تطوّر الكتابة العبرية خلال القرون السابقة للميلاد .

من الكتابة الصوّرية الى الألفبائية

قبل أن تنتقل الى الحديث عن كيفية التوصل بمختلف الوسائل الى تحديد مؤكّد لتاريخ المخطوطات ، سنتحدث بأقتضاب عن طرائق كتابة الإنسان قديماً وماهية المواد التي أستخدمها للكتابة في فلسطين والبلدان المجاورة لها. لقد تم اختراع فن الكتابة في بلاد الرافدين في الألفية الثالثة قبل الميلاد، وأقدم الكتابات في مراحلها الأولى كانت الصوّرية التي أستخدمت رسم الصوّر للتعبير عن المراد، وأتسمت بصعوبة التدوين بها نظراً لما تتطلبه من وضع صورة لكل كلمة في اللغة ، ولما كانت اللغة تتضمن الكثير من التعبيرات المجردة التي يتعذر التعبير عنها بالصور، وبينما يسهل التعبير عن الكلمات المحسوسة كالبيت

والسيف واليد بالصدور، يتعقد الأمر حينما يريد المرء التعبير عن المجردات كالحب والحياة والشوق وغيره وكذلك التعبير عن الأفعال صورياً .

تطور أسلوب الكتابة في بلاد ما بين النهرين القديمة من الصورية الى المسمارية (الأسفينية) حيث يتم التعبير عن المفردات والمقاطع الصوتية بأشكال أسفينية ترسم بأوضاع متباينة . وتم استخدام ألواح ورقم الصلصال كمادة للتدوين ، وكتبت عليها بواسطة مرقم أسفيني الرأس يتم ضغطه على الصلصال الطري ، ومن ثم يتم حرق اللوح أو تجفيفه بتعريضه لأشعة الشمس ، لتظهر الكتابة منقوشة على لوح فخاري . وقد عُثِرَ من خلال التنقيبات الأثرية الحديثة على آلاف الألواح من هذا النمط . وقد استُخدمت الطريقة عينها في فلسطين وبلاد الفينيقيين لاحقاً . وهناك تم تطوير فن الكتابة الى الألفبائية المؤلفة من أحرف تتراوح ما بين العشرين والثلاثين حرفاً أو علامة للأصوات ، لتستخدمها فيما بعد معظم اللغات السامية (ولاحقاً اليونانية واللاتينية التي يعود أصلها الى الألفباء الفينيقية).

بعد السبئي البابلي (حوالي 500 ق . م) أستبدل اليهود الكتابة المربعة بكتابتهم الخاصة ، والكتابة المربعة التي نجدها في مخطوطات البحر الميت لا يزال اليهود يدونون بها كتاباتهم حتى يومنا هذا .

في الألفية الأولى قبل الميلاد هجر الإنسان الألواح الطينية وانتقل الى استخدام مواد جديدة للتدوين عليها ، فأستخدم ورق البردي ، الذي يتم أنتاجه من قصب البردي ، ويكثر نموه على ضفاف نهر النيل (وفي جنوبي العراق). كما أستخدمت كَسْر الجرار الفخارية للكتابة عليها بالحرر فضلاً عن تدوين النقوش الكتابية على الحجر . وفي القرون المتأخرة قبل الميلاد شرع الإنسان كما أسلفنا بالكتابة على الرِّق (جلود الحيوانات)وهي تحديداً المواد التي دُوِّنت عليها مخطوطات البحر الميِّت .

وتبعاً لذلك يمكننا الأستنتاج بأن المخطوطات قد تم تدوينها في نحو المئة الخامسة قبل الميلاد - لأن اليهود لم يسبق لهم استخدام الخط المربع قبل ذلك التاريخ كما لم يستخدموا الرِّق للتدوين - بيدَ أن العلماء كانوا أبعد ما يكون عن الرضا بالتأكيد على أن المخطوطات ترقى الى الفترة اللاحقة للمئة الخامسة قبل الميلاد . حيث كان المرء يأمل في التوصل الى تحديدٍ أكثر دقة لتاريخها . وقام العديد من الخبراء بمقارنة نمط الكتابة العبرية المستخدمة في تدوين اللفائف مع نصوص الورق النادرة (التي عُثِر عليها في مصر) والتي يُعتَقَد أنها تعود الى القرون القليلة القريبة من ميلاد المسيح وأستقر رأيهم على أن المخطوطات يرقى عهدها الى الفترة ذاتها . بينما زعم خبراء آخرون أن تلك النتائج غير جديرة بالثقة ، لذلك أصبح لزاماً على الباحثين إجراء سلسلة من الأبحاث

الطويلة لمقارنة تقدّم نتائج البحث ، فأسفرت العملية عن أكتشاف علمي ممتع سنتعرف عليه فيما يلي .

الجِرار

في البدء تمت دراسة الجِرار الفخارية ، التي عثُر عليها مع اللفائف، وكان المرء يأمل في أنها ستساعد على تحديد عمر اللفائف بدقة أكبر . ولحسن الحظ لم تكن عملية تحديد عمر الجرار بالأمر المستعصي ، فقد ظهر بجلاء أنها تعود لقرون قريبة من ميلاد المسيح ، ربّما أقدم بقليل أو أحدث . وهنا لا يُمكن التأكيد من أن اللفائف المخزونة في تلك الجرار قديمة مثلها ، رغم احتمال ذلك .

الفحص بالكربون الذري 6

فضلاً عن ذلك حصلنا على مساعدة مميزة لم تكن في الحسبان ، ألا وهي استخدام علم الذرّة ، وذلك بقياس العلاقة ما بين نوعين مختلفين من الذرات في

6 تعتبر طريقة تحديد عمر المواد بواسطة الكربون الذري أكثر الطرق دقة في تحديد أعمار المواد القديمة الطبيعية والصناعية. حيث يتواجد الكربون المشع أو الكربون الذري في الكائنات الحية ولكنه يبدأ في الاضمحلال بنسب ثابتة في الخلايا الميتة. وقياس الكميات المتبقية من هذا الكربون في أي كائن يستطيع العلماء تحديد أعمار العينات القديمة . (المعرب)

المواد العضوية ، ليكون بوسع المرء تحديد عدد القرون التي مضت على موت المادة العضوية . أي أنه بواسطة هذا الفحص (مع احتمال وجود نسبة من الخطأ) يُمكن تحديد عدد القرون التي مرّت على ذبح المعزة التي صدّنع رَقّ اللفائف من جلدها! وقد ساهم هذا النمط من الفحص أيضاً في ترسيخ الاعتقاد بأن كتابة المخطوطات قد تمت في الفترة الزمنية الواقعة قُبيل أو بُعيد القرن الأول للميلاد .

النقود

لقد تم تأكيد النتائج الواردة الذكر أيضاً عن طريق فحص النقود التي تم العثور عليها في خرائب بناءٍ قديم على مقربة من الكهوف ، والذي سنسمع عنه لاحقاً لأن الجماعة التي تعود لها المخطوطات كانت تسكن فيه . والنقود تلك التي تركوها هناك، على أغلب الظن ، تعود الى نفس الفترة الزمنية للمخطوطات . والأفضل بالنسبة للنقود هو أن تاريخها محدد نظراً لطبع صورة ملك عليها ، والنقود التي تم العثور عليها في خرائب المبنى تعود بجلاء الى الفترة الممتدة ما بين (135 ق.م وحوالي 70 م).

مخطوطات البحر الميت

وهكذا أقتنع المرء تدريجياً بأن المخطوطات ترقى بعهدا الى القرون القريبة

من ميلاد المسيح ، وبالتحديد ما بين عامي (150 ق.م - حوالي 70 للميلاد).



الجرار الفخارية التي حُفّضت بداخلها المخطوطات



نماذج من نقود تم العثور عليها في قمران

الفصل الثالث

الحياة اليومية في قُمران

الخرائب

بدءاً من قَدَمَة الصخور الشديدة الانحدار ، حيث تقع كهوف المخطوطات، تأخذ المنطقة بالانحدار التدريجي نحو الساحل الشمالي الغربي للبحر الميت. في هذه المنطقة تبيض خرائبٌ منذ قرون مديدة ، متجلية في بقايا بناء ظاهر للعيان ، دعاه العرب منذ القدم بـ(خربة قُمران) .

أكتشف العلماء الأوربيون الخرائب منذ سنوات خلت . وظنوا أنها محض بقايا حصن من العهد الروماني، ولم يدر بخلدهم ما له من أهمية ، لتُشكّل داعٍ لصرف الأموال في تنقيبها وأستجلاء مكانها . إلا أن أكتشاف المخطوطات لفت الأنظار الى احتمال وجود علاقة ما تربط بين الخرائب ولفائف المخطوطات ، ومن المحتمل أن تُعين الحفريات على إيجاد أجوبة على التساؤلات التي أخذت تطرح نفسها فيما يتعلق بالأكتشاف الجديد :

أي بشر دَوَّ نوا تلك المخطوطات ؟ ولماذا سكنوا الصحراء ؟ لماذا أخفوا مخطوطاتهم في الكهوف والمغاور ؟ متى حصل كل ذلك ؟ وإلى آخره من التساؤلات المحيرة .

فعُقد العزم على التنقيب في الخرائب ، ولم يخب الأمل في ذلك ، فقد ذكرنا في ما مضى كيف ساعدت النقود التي تم العثور عليها في الخرائب على تحديد زمن المخطوطات بدقة أكبر مما كان المرء قد توصل إليه حتى ذلك الحين .

فضلاً عن ذلك فقد أظهرت الحفريات بجلاء أن البناء الخرب كان تجمعاً لجماعة أو طائفة (ندعوها بجماعة قُمران تبعاً لما درج عليه العرب في تسمية تلك الخرائب) . وعلى ما يبدو أن أفراد تلك الجماعة كانوا يسكنون الخيام أو يلوذون بالكهوف والمغاور في ضواحي تلك الناحية ، وكانوا يلتقون لتناول وجبات طعامهم على مائدة مشتركة وبغية عقد اجتماعاتهم في بناية قمران .

مراحل الأستييطان الثلاث

يبلغ عرض البناء نحو ثلاثين متراً أما طوله فزهاء الخمسين متراً ، والبناء واسع مقارنة بما كان شائعاً في حينه . ويظهر من قطع النقود التي وُجدت في البناء أنه قد تم أستيطانه خلال ثلاث فترات منفصلة على نحو قاطع . وتتوزع

الفترات الثلاث على مرحلة زمنية تمتد ما بين حوالي مائة سنة قبل الميلاد وحوالي مائة سنة بعد الميلاد . فالفترة الأولى تنحصر ما بين مئة سنة قبل الميلاد وسنة 31 قبل الميلاد وبوسعنا تحديد السنة الأخيرة لتلك الفترة بدقة متناهية، حيث يمكننا ملاحظة تهديم جزئي أصاب البناء من جراء هزة أرضية . ونعلم من المؤرخ يوسيفوس 7 بأن زلزالاً شديداً قد ضرب المنطقة في عام 31 قبل الميلاد ، راح ضحيته 30.000 نسمة من سكان اليهودية . ومضت ثلاثون سنة على تهدم البناء حتى أعيد أعمارُه مجدداً وتم السكن فيه ثانية . فأين حلت تلك الطائفة خلال الثلاثين سنة ؟ هذا ما لا نعلم عنه شيئاً !.

في حدود العام الأول للميلاد بدأت الفترة الثانية للأستقرار في المبنى ، وهي تستمر حتى عام 70 ميلادي ، حيث تم تدمير البناء إبان أنتفاضة اليهود ضد الأحتلال الروماني . ومن المؤكد أن ساكنيه تعرضوا للقتل والتشريد فأنفرط عقد الجماعة ، لكنها قبل ذلك أفلحت في أخفاء مخطوطاتها النفيسة في الكهوف المجاورة . أما الفترة الثالثة فتمتد من عام 70 للميلاد حتى حوالي عام

7 يوسيفوس فلافيوس (37 - 100 م): مؤرخ يهودي كتب مجموعة كتب أهمها كتاب "تاريخ اليهود" و"حرب اليهود" تلقي الضوء على الأوضاع والأحداث في فلسطين خلال القرن الأول للميلاد وتتناول أخبار التمرد اليهودي على الإمبراطوية الرومانية وانهايار مملكة يهوذا وظهور الديانة المسيحية والتغييرات الكبيرة في اليهودية بعد فشل التمرد على الرومان ودمار الهيكل .

مئة للميلاد ، وهذه الفترة لا تهمنا فيما يتعلق بدراسة جماعة قمران لأن المبنى قد تم شغله من قبل الجنود الرومان .



المؤرخ اليهودي يوسيفوس فلافيوس (37 - 100 م)

تصميم البناء

لقد صُمِّمَ البناء ليضم العديد من الغرف ، وبوسعنا ملاحظة الأغراض المتعددة للغرف المختلفة دون عناء . والقسم الأكثر مثاراً للأهتمام في البناء هو برج يقع في الزاوية الشمالية الغربية ، الذي كان يُستخدَم بلا شك لأغراض الدفاع . فطابقه السفلي لا توجد فيه أية مداخل ، كما لا يمكن الولوج إليه من الطابق

العلوي ، ويبلغ المرء إليه عن طريق درج يمتد فوق البرج . ولهُمَّكَ جدار في البرج لا يقل عرضه عن المتر ونصف المتر . وإلى الطرف الجنوبي للبرج توجد بضعة غرف واسعة ، أكبرها مساحته (7 x 15 متراً) كانت بمثابة صالة الاجتماعات وأخرى كانت بلا شك قاعة لتناول الطعام ، وعلاوة على ذلك فهناك مطبخ وحمّام يضم أحواضاً عميقة للمياه ومخزن للمؤن وورشة لصنع الأواني الفخارية - وبأختصار فهناك كل ما يلزم المرء حين يعيش منعزلاً في الصحراء .

والأكثر إثارة للأهتمام في البناء هو نظام تزوّد به بالماء . وكما هو معلوم فإن المنطقة المجاورة للبحر الميت هي أكثر البقاع الفلسطينية جفافاً . ولتوفير إمكانية العيش في المنطقة ينبغي على المرء القيام بتخزين مياه الأمطار أثناء فترة تساقطها القصيرة الأجل ، وحفظ تلك المياه لمواسم الجفاف . وبناءً على ذلك فقد عمل المرء على حفر نظام قنوات تم ربطها بوادٍ قريب . فالوادي يفيض بالمياه في موسم هطول الأمطار ويعاني الجفاف في موسم أنقطاعها . وتم إيصال قناة إلى داخل البناء كما تم أنجاز نظام معقّد من الأحواض والقنوات بغية إيصال الماء إلى مختلف أقسام البناء وكان نظام التزوّد بالماء على هذا النحو ضرورياً لأستمرار حياة أعضاء جماعة قمران . ومن جملة ما يلفت



مخطط مبنى دير قمران

1. المدخل الرئيسي 2. البرج 3. صالة التدوين 4. المطبخ 5. قاعة الأتتماع
- والطعام 6. حظائر وأسطبلات 7. مشغل الفخاريات 8. الفرن 9. مستودع 10.
- أحواض الماء 11. قناة الماء . (الخط المنقَّط : تصدع بسبب الزلزال) .

الأنتباه في حفريات قمران تجدر الإشارة الى عدد لا يُحصى من الجرار الفخارية والنقود والمحابر وأدوات الكتابة التي أُسْتُخِدِمَت بلا ريب في تدوين المخطوطات .

كتاب الطائفة

إذا أردنا معرفة شئ عن أحوال جماعة قُمران ومعيشتها في البرية المقفرة الجرداء حول البحر الميِّت ، فثمة مخطوطة تُسَلِّطُ الضوء على أساليب معيشتهم ، والمخطوطة بالتحديد هي "كتاب الطائفة" ، فجماعة قُمران هي ما نُطلق عليه طائفة دينية ، لا تتفق تعاليمها مع الديانة السائدة في البلاد ، إذ شاعت في حينه الخلافات بين اليهود حول المسائل الدينية والسياسية ، فأنسحبت الجماعة الدينية التي تعود إليها المخطوطات بسبب خلافاتها مع الزعامة الدينية المتنفذة في القدس ، لتستوطن المنطقة المُطلَّة على البحر الميِّت . ويشرح كتاب الطائفة حياة جماعة قُمران وعاداتها ومعتقداتها الدينية . وقد حُفِظَت هذه المخطوطة بصورة جيدة ، خلا أطرافها التي قضمتها الجردان مسببة تلفاً يسيراً في نصوصها .

قبول عضو جديد في جماعة قُمران

لا يتطرق كتاب الطائفة الى ذكر إسم أي من أعضاء جماعة قُمران ، غير أننا على أي حال أستطعنا التعرف على إسم عضو واحد من الجماعة ورد مدوّنًا على إحدى الجرار التي تم العثور عليها أثناء التنقيب في الخرائب ، كان صاحبها قد كتبَ عليها إسمه وهو يوحنان . وسنتابع رحلة يوحنان هذا مع جماعة قُمران منذ اليوم الأول لقدمه من القدس للأنخراط في صفوف الجماعة ، حيث سنتعرف من خلالها على نمط حياة الجماعة الصحراوية الغريبة .

منذ الوهلة الأولى لوصول يوحنان تم أخذه ليُمثّل بين يدي الرئيس الأعلى للجماعة ، وتبعاً لقوانينهم تم أستجوابه والتحري عن غايته من الأنضمام الى الجماعة ، فهم كانوا يحرصون بشتى السبل والوسائل على تجنب تسلل المرائين الى صفوف الجماعة . كما تم أختبار معلوماته وأعماله ، أي أنه أُخضع لأختبار منتظم أو ما يشبه إمتحان القبول ، وأقتنعوا أن لديه معرفة كافية بالكتاب المقدّس وسيرته لا غبار عليها ، فأجتاز الأختبار وتعهد أمام رئيس الجماعة بأنه "سيثوب الى الحقّ وينأى عن الباطل".

ورغم ذلك لا يكون يوحنان قد قُبلَ عضواً كامل العضوية في الجماعة ، بل ينبغي عليه أن يُمضي سنوات عديدة مع الجماعة ! وفي غضون الفترة اللاحقة

سيخضع لتلقي التعاليم والأنظمة الخاصة بالجماعة وسيواجه إمتحاناً عسيراً بعرضه أمام كافة أفراد الجماعة ، الذين يشكلون نوعاً من الهيئة العامة، ليُدي كل فرد منهم برأيه بشأن يوحنان بناءً على ما تكوّن لديه من أنطباع عنه أثناء فترة تواجده في قمران . ليتم البتّ في مسألة قبوله وحسمها ، غير أن ذلك لا يتم بالتصويت كما هو مألوف في عصرنا ، بل يعتمد القرار النهائي على ألقاء القرعة ، حيث يتركون أمره من خلال القرعة بين يدي الله ، فهو الذي يُقرر برأيهم نتيجة القرعة . وكما نعلم فأن يوحنان قد أصبح عضواً في الجماعة مما يدلّ على أن نتيجة القرعة جاءت لصالحه .

بيد أنه لا يزال غير متمتع بكافة حقوق العضوية . فخلال السنة الأولى :
" لا يحق له وضع نقوده ضمن الثروة المشتركة للجماعة" . مما يدل على أن الأفراد المتمتعين بكامل العضوية كانوا يتخلون عن كل ملكية فردية ويُسلّمون كل ما بحوزتهم الى صندوق مشترك . وبعد مضي سنة واحدة يتوجب على يوحنان بصفته عضواً مؤقتاً المثول أمام الجماعة مُجدداً ليتم أستجوابه والأطلاع على "معرفته بالشرعية ومدى التزامه بها" أي معرفته بالكتاب المقدس وحياته الأخلاقية . ويتبع ذلك ألقاء القرعة ، التي عن طريقها ، كما في المرة الأولى ، يُحسم أمر قبوله في الجماعة أو أبعاده .

وفي السنوات اللاحقة يتمتع بحقوقٍ أوسع ، حيث يحق له تسليم نقوده الى الصندوق المشترك ، لكن لا يحق له المشاركة في تناول وجبات الطعام المشتركة . وبعد مضي سنة أخرى يُعاد أختباره وألقاء القرعة لحسم موضوع قبوله بصورة نهائية . وبوسعنا القول أن الولوج من خرم أبرة أيسر من الولوج الى جماعة قُمران .

نظام المراتب

رغم قبول يوحنان عضواً في الجماعة ، فالأختبارات المزعجة لم تنته بعدُ . فللجماعة نظام ينقسم أعضاؤها تبعاً له إلى طبقات عليا وطبقات دنيا ، وفي الواقع للجماعة نظامان أولاً يُقسَّم الأعضاء الى كهنة ولاويين وأعضاء عاديين وثانياً يوضع الأعضاء في المجموعات الواردة الذكر في مراتب متسلسلة . وهذه المراتب يتحكم فيها "المعرفة والأعمال" ، فالشخص الذي يمتلك معرفة ضافية بالكتاب المقدس (التوراة) ينال المرتبة الأعلى في سلم المراتب ، أما الذي لم ينل حظاً وافراً من المعرفة فينضم الى المراتب الأدنى . ونسمع عن كيفية توزيع المراتب مرة في السنة . ويتم ذلك بأخضاع جميع الأعضاء لأختبار يشبه اختبار

القبول "بمراعاة المعرفة والأعمال" ، ووفقاً لنتائج الأختبار تتم ترقية المرء أو تأخيرها على سُلّم المراتب .

ويتمتع ذُوو المراتب العليا بالأفضلية مقارنة بأقرانهم . إذ يكون لهم مكان الصدارة على مائدة الطعام المشتركة وفي الأتجماع العام وفي الأتجماعات التشاورية تكون لهم الكلمة النافذة . ووسعنا التصوّر أن نظاماً مراتبياً كهذا سيخلق الخلافات بين الأخوة الأتقياء ، لذلك نجد في موضع من كتاب الطائفة ما يحضُّ على عدم أشعار أصحاب المراتب لدنيا بالحقارة والدناءة ودعوة مَن يشغلون المراتب العليا الى تجنب الغطرسة والعجرفة . لكن علينا أن نُدرِك أن هكذا نظام رغم ما يخلقه من خلافات فإنه في عين الوقت يحثُّ ويحفّز الأعضاء على تقديم أفضل ما في وسعهم ليتسنى لهم التدرج صعوداً لبلوغ المراتب الأعلى . ولنظام المراتب هذا غاية تربية .

دراسات كتابية أثناء الليل

بعد قبول عضوية يوحنان تم ضمه الى نظام المراتب ، وعلينا الآن متابعتة . فبعد تعرّفه على أفراد الجماعة رويداً رويداً ، يوقظ من نومه في ليلة ، ليجد أن عليه المشاركة في أتجماع ليلي لدراسة الكتاب المقدس . فتبعاً لتصور جماعة قُمران لا

يجوز أن تتوقف تلاوة الكتاب المقدس على مدار الساعة . ويتم ذلك بتوزيع أعضاء الجماعة الى مجموعات تتناوب على القراءة ليل نهار . والجماعة كما رأينا تُعوّل على معرفة الأعضاء بالكتاب المقدّس فيما يتعلق بقبول الأعضاء وتوزيع المراتب ، وقد ساهمت بلا ريب تلك الدراسات الفعالة في رفع مستوى معارفهم في هذا المضمار .

الأجتماعات التشاورية

لم تكتفِ الجماعة بدراسة الكتاب المقدّس فحسب ، بل دأب أعضاؤها على النقاش والتشاور أيضاً في أجتماعات هيئة الشورى ، التي كان يحضرها كل الأعضاء ، وهي نوع من الأجتماعات العامة . يتداولون فيه شتى ضروب المشاكل ، وبلا شك المسائل الدينية فضلاً عن المسائل ذات الصلة بتنظيم الطائفة (الجماعة) . خلال هذا الأتتماع - كما أسلفنا - كان يجلس الأعضاء في الأماكن المخصصة لكل منهم وفقاً لمراتبهم ، وعلى نحو لا يُمكن تجاوزه . وكل مَنْ يخالف القوانين يتعرض لعقوبة الإبعاد لفترات متفاوتة . وتوجد في كُتّيب الطائفة صحيفة كاملة تتضمن شرح مختلف العقوبات ، والعقوبة الأغرَب بينها هي الأمتناع عن محادثة الآخرين ، فيُطرَد مَنْ يقوم بذلك لمدة

عشرة أيام ، ويُطرد لمدة ثلاثين يوماً كل مَنْ يغفو أثناء الأَجتماع العام أو يبصق أو يضحك بغير مبرر وبصوت مسموع أثناء الأَجتماع ... إلخ . (قد تبدو هذه العقوبات مضحكة لنا ، وهو تماماً ما رآه يوحنا أيضاً في أول عهده).

المائدة المشتركة

سمعنا فيما مرَّ عن ضرورة قيام يوحنا قبل قبوله عضواً في الجماعة ، بتسليم نقوده الى صندوق الطائفة المشترك . وعندما يتخلى المرء عن نقوده فمن الطبيعي أنه لن يعود قادراً على أبتياح قُوْتِه ، مما يؤدي الى لجوئه الى تناول طعامه من المائدة المشتركة في المبنى الرئيسي .

ومائدة الطعام المشتركة أيضاً قوانينها المحددة ، فللكاهن مجلس الصدارة وهو الذي يُبارك الطعام (الخبز وعصير العنب/النبيد) قبل الشروع في تناول الطعام . وهنا ينال كل فرد حصته المقررة . ونقف في كتاب الطائفة على طبيعة العقوبات التي تنص على أستقطاع جانب من وجبة طعام العضو الذي يخالف النظام ولفترات محددة .

تجديد العهد (الميثاق) سنوياً

بعد أن أقام يوحنا لفترة بين ظهراني الطائفة ، شهد الحدث السنوي العظيم بالأحتفال الكبير لتجديد العهد ، الذي وُصف بدقة في كتاب الطائفة . فالأحتفال يُقام مرّة في السنة ، ربّما في يوم الكفارة (التكفير) الكبير .

وبغية فهم هذا الأحتفال ينبغي علينا أولاً التعرف على الطريقة التي ينظر بها اليهود الى العهد . فالعهد القديم يذكر أن الرب تعاهد مع نوح وإبراهيم وموسى . وخلال تلك العهود تعهد الله بحفظ إسرائيل ، كما ألزمت إسرائيل نفسها بصيانة وصايا الله ، لكن مع مرور الزمن نكث الشعب العهد مراراً . ورأى الأنبياء أن من واجبهم إعادة الشعب إلى جادة الصواب .

بيد أنه خلال قرون عديدة وحتى يومنا هذا لم يظهر أي نبي في إسرائيل . وقد درست طائفة قُمران أسفار الأنبياء وتأثرت بشدة بدعواتهم . وها هم يُحيون كلام الأنبياء لكنهم يتشددون كثيراً أزاء الضالّين من أبناء الشعب وعلى نحو يفوق ما فعله الأنبياء أنفسهم . وتزعم جماعة قُمران ، أن الرب غاضب على إسرائيل وقد أشاح بوجهه عنها وأصطفى جماعة قمران عوضاً عن شعب إسرائيل لتصون العهد . وأعتبرت الطائفة نفسها "إسرائيل الجديدة" أي "إسرائيل الصادقة" ، التي أقام معها الربُّ عهده الجديد . وهذا العهد يُجده

الربُّ سنويًا ، ويتم ذلك من خلال مراسيم كبيرة تُقيمها جماعة الصحراء .
والكتاب تنقصه بضعة صفحات تتعلق بحلقة مهمة في حياة الطائفة ، لكن
بمقدورنا تكوين صورة جلية عمّا كان يجري أثناء تلك المراسيم .

يتعهد أعضاء الطائفة بـ " القيام بكل ما هو خير وحق في نظر الربّ " ،
مثلما أمر موسى وسائر الأنبياء . ومحبة كل ما أختاره ، وكره كل ما نبذه .
والأبتعاد عن كل شرّ ، والتقرّب الى العمل الصالح . ونشر الصدق والعدالة والحق
في البلاد، والكف عن الهيام بقلب يحمل الذنوب والضغائن وإلخ..." .

ثم يتقدم الكهنة واللاويون وهم يشكلون مجموعتين . فيتحدث أولاً الكهنة عن
نعمة الرب على إسرائيل ، ومن ثم يتكلم اللاويون عن آثام إسرائيل ، فتُردّد
الطائفة قائلة : "لقد أثمنا ، لقد أذنبنا ، لقد أجرمنا وغير ذلك . لقد ارتكبنا
الشرّ ، نحن وأباؤنا من قَبَلنا ... إلخ..." .

ويستأنف الكهنة الكلام ثانية ليباركوا الطائفة . ونص المباركة اللطيفة مدون

حرفياً في كتاب الطائفة ، وهو يستحق إيراد نصه هنا :

"الرب يباركك بكل ما هو خير ويحفظك من كل شرّ ، ويُنير قلبك بالحكمة
المحيية ويُسبغ عليك نعمته بالمعرفة الأزلية ، ويلتفت إليك بنظرته الرؤوفة
لسلام أبدي " .

ثم يتقدم اللاويون ليصبوا لعناتهم على أولئك الإسرائيليين الذين لم ينضموا الى طائفة قمران ، بكلمات قاسية نابية :

"ملعون أنت في ظلمة النار الأبدية ، لن يرحمك الرب أبداً ، وحين تتضرع إليه لن يصفح عنك ولن يغفر لك آثامك . فهو سيُلقي عليك بنظرة غيظ ويُنزل عليك عقابه الشديد إلخ ."

وأخيراً يتحد الكهنة واللاويون بلعنة مشتركة يصبونها على رأس المرائي المنافق، الذينئسّ في صفوف الطائفة دون توبة نصوح . وقد ذكرنا آنفاً أن التشدد في قبول الأعضاء الجدد في صفوف الجماعة كان مردّه الخوف من تسلل المرائين لأختراق صفوف الجماعة . ولكن لمَ كل هذا الخوف والتوجس من المرائين؟ السبب في ذلك هو أن جماعة قمران التي أعتبرت نفسها إسرائيل الصادقة ، كانت ترى أنها بتقواها ستنال التكفير والصفح عن ذنوب وأنام إسرائيل . وسعى المرء لمصالحة الربّ بتقديم الأضحية في الهيكل المقدّس ، غير أن الربّ لا يمكن مصالحته إلا بالصلاة والعمل الصالح وحيياة التقوى كالتى يحيها أفراد الطائفة في البرية . وينبغي على كل أعضاء الطائفة المشاركة الصادقة في حياة الطائفة ، لذلك لا يمكن تحمّل وجود المرائين بينهم .

الأسينيون

ليس بوسع المرء ، لاسيّما بعد التعرف على هذه الجماعة الصحراوية الغربية الأَطوار ، أن يُغفل التفكير في الرهبان المسيحيين ، الذين عاشوا أيضاً حياة عِفّة وزهد وتقشف وأعتزال في ظل قوانين صارمة لحياة الدير ، وتخليهم عن كل ملكية شخصية وما شابه ذلك . ورغم أوجه الشبه فالصلة معدومة بين الجماعتين . فتنظيم الرهبان المسيحيين قد بدأ بقرون عديدة بعد ظهور الديانة المسيحية .

وعلى النقيض من ذلك فبالإمكان الإشارة الى جماعة "رهبنة" يهودية ، ألا وهم "الأسينيون" ، الذين شكلوا طائفة تشبه في جوانب عدة طائفة قُمران . التي عاشت في عزلة ولها ملكية مشتركة ووجبات طعام مشتركة وقوانين جماعية صارمة . وحين يذكرهم كاتب روماني من القرن الأول للميلاد، يُشير إلى أنهم عاشوا على الساحل الغربي للبحر الميت ، ويرى كثيرون أن المقصود هو جماعة قمران بعينها ، رغم أن ذلك لا يخلو من الشكوك . فجماعة قمران تعود بجذورها بوضوح الى أنبياء العهد القديم ، بينما يُعتَقَد أن الأسيني قد تقبلوا الكثير من الديانات الغربية رغم وجود صلة ما بين الجماعتين .

الفصل الرابع

ثورة اليهود في القرن الثاني قبل الميلاد

يمكننا الآن تكوين صورة عن تاريخ طائفة قُمران . لكن علينا أولاً وبغية فهم نشوء الطائفة ، الأطلاع على تاريخ اليهود . والجدول في الصفحة التالية يُظهر الى حدّ ما تاريخ اليهود منذ هجرتهم من بلاد كنعان حتى زهاء العام مائتين قبل الميلاد حينما أكتمل العهد القديم . ونحن نعرف عن الفترة اللاحقة ، أي ما بين عامي مائتين قبل الميلاد وسبعين ميلادية ، بصورة جيدة ، حين دمّر الرومان القدس (أورشليم)، من خلال "كُتُب المكابيين" القديمة والمدونة باليونانية والروايات اليهودية التي حُفّظت عبر العصور جنباً إلى جنب العهد القديم . وقد دوّن المؤرخ يوسيفوس أبرز أحداث القرن الأول للميلاد باليونانية وحُفّظ عمله .

ثورة المكابيين

في مطلع القرن الثاني قبل الميلاد وقعت سلسلة من الأحداث ، ستكون لاحقاً بالغة الأهمية فيما يتعلق بالتطوّر الديني والسياسي لدى اليهود .

وهذه الأحداث لها صلة غير مباشرة بجماعة قمران . بينما كانت ظروف اليهود طيلة قرون مديدة قابلة للتحمل في ظل الحكم الأجنبي ، في العام 175 ق.م. أعتلى عرش سوريا ملك جديد يُدعى أنطيوخوس إبيفانيس 8 ، الذي كان حينذاك يحكم فلسطين . وكان بعكس أسلافه شديد العنف مع اليهود ، حيث أمر بوضع ثور وتمثيل الصنم اليوناني الإله زيوس في الهيكل المقدس ومَنَعَ الأسفار اليهودية المقدسة وأمر بحرقها . وحكم بالموت على كل مَنْ يُعْتَر على الأسفار المقدسة في حوزته . وقسر اليهود على تناول لحم الخنزير وحرّم عليهم السبت سائر أعيادهم الدينية وأبطل الطهور .

كان غرضه من تلك الإجراءات الصارمة محو الديانة اليهودية وأحلال دين جديد محلها ، يمارس عبادة الملك الجديد ذاته كإله . وسعى الى تنفيذ ذلك في كل أنحاء فلسطين بأجبار اليهود على عبادة الأوثان . وحينما وصل رسول ملك سوريا الى بلدة غربي أورشليم وطالب الكاهن اليهودي مَتاثيراس 9 بتقديم القرابين لآلهة الوثنيين ، ثارت ثائرة الكاهن وقتل رسول الملك فأندلعت نيران العصيان وتزعّم

8 كان آخر ملوك الرومان الذين حكموا اليهودية هو أنطيوخوس إبيفانوس أي الشهير ولكن لشدة اضطهاده لليهود أطلقوا عليه إيمانيس أي المجنون. لأنه أجبرهم على العبادة الوثنية بالاضطهاد الدموي وندس الهيكل .
9 قامت ثورة المكابيين بقيادة مَتاثيراس الكاهن ضد أنطيوخوس إبيفانوس وانتصروا عليه، ولما مات مَتاثيراس خلفه ابنه يهوذا الملقب بالمكابي الذي طرد الرومان ورمم الهيكل وأصلح خراب المدينة سنة 165 ق.م ومات أنطيوخوس أبيفانوس شر ميتة .

مخطوطات البحر الميت

تاريخ اليهود في الألفية الأولى قبل الميلاد

القبائل الأسرائيلية تهاجر الى فلسطين حوالي	1300	
1200 - 1500	1200	مصر تحكم فلسطين حتى حوالي عام 1200
تأسيس المملكة . شاول، داود ، سليمان نحو 1030	1100	
930 -	1000	
تقسيم إسرائيل الى مملكتين شمالية وجنوبية في	950	
عام 930	900	
	750	
النبي أشعيا نحو 740 - 700	700	الآشوريون يغزون السامرة عاصمة المملكة
النبي أرميا نحو 625 - 580	650	الشمالية في عام 722
النبي حبقوق نحو 600	600	نبوخذ نصر البابلي يغزو اورشليم عاصمة المملكة الجنوبية، وبدء السبي البابلي في عام 587
	550	كورش الفارسي يطيح بالبابليين، وعودة اليهود من الأسر الى بلادهم في العام 538
إعادة بناء معبد اورشليم القدس عام 516	500	
	450	
	400	
	350	
تسلط أنتيوخوس إبيفانيس الرهيب على فلسطين	300	أسكندر المقدوني الكبير يغزو فلسطين عام 332
164 - 175	200	السوريون يغزون فلسطين
ثورة المكابيين تندلع عام 167	150	
الهسمونيون يتولون المنصب الأعلى للكهنة 153	100	
ألكسندر ياتيبوس 103 - 76	50	الرومان يغزون فلسطين عام 63
	0	
تدمير اورشليم إبان الثورة ضد الرومان عام 66 -	50	
70 ميلادية	100	

مَتَاثِياس وأنجاله الثورة وتبعهم كل اليهود الموالين .

كافح اليهود طيلة سنوات عديدة ضد السلطة بقيادة يهوذا مَكابِيوس ، النجل البكر مَتَاثِياس ، الذي عُرِف العصيان بإسمه . لم تكن الثورة موجهة ضد قوة الأحتلال السوري فحسب بل ضد اليهود المتواطئين مع سوريا أيضاً ، ممَّن كانوا يسعون الى نبذ الديانة اليهودية القديمة وأدخال أحد "الأديان المختلطة" محلها . والتي كانت قد شاعت في حينه في منطقة حوض البحر الأبيض المتوسط .

خلافات داخلية عقب الثورة

بعد خمس عشرة سنة من الصراع أفلح أحد أنجال مَتَاثِياس في حيازة منصب كبير الأُحبار في أورشليم . وغدا بذلك الزعيم الديني والسياسي لليهود .وعُرِفَتْ عائلته التي أمسكت بزمام السلطة قرابة مائة عام بإسم "الهسمونيين" أو "الحشمونيين" .

يبدو أن العصيان كان قد حقق أنتصاراً ، وأسترجع اليهود الموالون حقوقهم الدينية ، وعلى الرغم من بقائهم في ظل السيادة السورية، إلا أنهم عاشوا ظروفاً جيدة كما كانت على سابق عهدها ، أي قبل مجئ الطاغية أنتيوخوس . يُبد أن الخلافات الداخلية نرّ قرنهما في صفوف اليهود ، وهذه الخلافات بالذات تشكّل

خلفية ظهور جماعة قُمران ، الجماعة الأكثر تزمناً بين اليهود الموالين . وكانت تُعرَف بالهسيديين أي الأتقياء وكان يُتَوَقَّع أنهم كانوا راضين عن نتائج الصراع ، غير أنهم لم يكونوا كذلك ، حيث كانت حياة العائلة الهسمونية على منصب كبير الأخبار شوكة في جنبهم ، لأن ذلك المنصب وفقاً للشريعة اليهودية كان حكرًا على عائلات معينة . ورغم كون الهسمونيين أيضاً من عائلة كهنة إلا أنهم لم ينتسبوا الى العائلة المناسبة . وتفاقم الحقد وأحتقنت الضغائن بين الأتقياء والهسمونيين بمرور الزمن ، لا سيّما بعد أن تجلّت قسوة عدد من الحكام الهسمونيين وكرههم للديانة اليهودية وملاحقتهم للأتقياء .

الفصل الخامس

ماذا تُنبئ المخطوطات عن تاريخ الجماعة؟

عندما نُقارن المعلومات التي تتضمنها مخطوطات البحر الميِّت مع ما يتوفر لدينا من معلومات حول أحداث تلك الحقبة في أسفار المكابيين ويوسيفوس، يثبت لنا أن طائفة قمران بدأت حياة العزلة الصحراوية زهاء مائة سنة قبل الميلاد .

كتابات إحدى مخطوطات البحر الميت المعروفة بسفر حبقوق تُلقي الضوء بشكل أفضل على الجوانب التاريخية .

ما يُمكن استخدام الكتاب المقدَّس له

شرح حَبَقُوق ليس نصاً واسعاً، فهو يشغل ثلاث عشرة صحيفة من الحجم الصغير فحسب ، تنقصها بعض السطور في أسفل المخطوط .

عاش النبي حَبَقُوق في حدود العام 600 قبل الميلاد وتحدث عن خطر تهديد البابليين لأورشليم . وكما نرى في الجدول أعلاه (الصفحة 50) فقد تحقق فعلاً

ذلك التهديد في العام 586 ق.م. حين غزا البابليون أورشليم وسبوا ساكنيها اليهود ليسوقوهم بعيداً عن بلادهم .

سفر حَبَقُوق الذي عدّه اليهود في القرون المتأخرة سفرأ مقدساً ، كانت جماعة قُمُران تستخدمه على نحو غريب ، فقد زعمت الجماعة أن الربّ تنبأ عن طريق النبي حبقوق قبل خمسمئة سنة خلت بما سيؤول إليه مصير جماعة قُمُران ، وما ستعرض له من عوز وضيق ، وتهديد الرومان لأورشليم إبان القرنين الثاني والأول قبل الميلاد . وكانوا على قناعة راسخة بما كان الربُّ قد ربّته سلفاً من أحداث ستقع في المستقبل، كشف جانباً منها في أسفار أنبيائه . وتبعاً لذلك عدّوا محتويات سفر حبقوق على أنها ليست مجرد سرد لأنباء عن أحداث تاريخية وقعت في نحو عام 600 ق.م. إنما هي عرضٌ مبطن لما سيؤول إليه مصير جماعة قُمُران واليهود بعد خمسمئة سنة لاحقة . والقصد المستتر في النص كان بالإمكان أستجلائه، حسب زعمهم ، إذا ما تم تفسير سفر حبقوق على نحو صحيح . ولدينا نموذج من ذلك التفسير الصحيح لسفر حبقوق :

" سيوقظ الربُّ البابليين، الشعبُ السريعُ (الذي سيأتي ليعاقب اليهود)"¹⁰.

10 سفر حبقوق : الأصحاح الأول (6 - 11) : "فهائذا مُقيم الكلدانيين الأمة المُرّة القاحمة السالكة في رحاب الأرض لتملكَ مساكن ليست لها . هي هائلة ومخوفة . من قيل نفسها يخرج حكمها وجلالها . وخيلها أسرع من النمر وأحد من ذئاب المساء وفرسانها ينشرون وفرسانها يأتون من بعيد ويطيرون كالنسر المُسرع إلى

ويُفسرونه على هذا النحو: "التأويل يُشير إلى الوثنيين (الكتيم) ، وهو إسم مستعار للرومان ، فهُم شجعان وسريعون في الحرب ، وبوسعهم تدمير العديد من الشعوب وأخضاعها لنير سلطانهم . وهم يحتلون بلداناً عديدة ، ولا يؤمنون بشريعة الله." على هذا النحو يتم تفسير نص قديم يتحدث عن تهديد البابليين لفلسطين زهاء عام 600 ق.م. وهكذا يتم تحريفه ليكون إشارة الى الرومان الذين قاموا بغزو البلدان المجاورة لفلسطين وتهديدهم لليهود في حدود العام 100 ق.م . وعلى هذا المنوال تتم قراءة الأصحاحين الأولين من سفر حبقوق ، مما لا يعطينا صورة جلية متكاملة عن تاريخ الطائفة ، بل لمحات متفرقة عن أحداث كانت سبباً لنشوءها ، والتي أجبرتها في نهاية المطاف على هجر القدس والتوجه للأستيطان في الصحراء المطلة على الساحل الغربي للبحر الميت . وإذا وفقنا في لمّ شعث المزاعم المتفرقة ، عندئذ سيكون بمقدورنا رسم صورة متكاملة لتاريخ الجماعة؟! وهذا ما سنحاول تحقيقه .

الأكل . يأتون كلهم للظلم . منظر وجوههم إلى قدام ويجمعون سبباً كالرمل . وهي تسخر من الملوك والرؤساء ضحكة لها . وتضحك على كل حصن وتكوم التراب وتأخذه . ثم تتعدى روحها فتعبر وتأثم . هذه قوتها إلهها ."

الرومان

الصفحات الأولى من الشرح تتناول بشكل واسع أمر الكتيم، الوثنيين الرومان ، ومن خلال ذلك نفهم بوضوح خلفية التاريخ السياسي لتلك الحقبة ، إذ كان للرومان في غضون القرن الثاني ق.م. نفوذ واسع في البلدان المجاورة لفلسطين . وكان اليهود يتوقعون ويترقبون قيام الرومان في يوم ما بتقويض السلطة السورية واحتلال فلسطين . هذه هي الصورة التي نحصل عليها عن الرومان من خلال شرح حبقوق وذلك يتفق تماماً مع وصفهم للرومان كقوة عظمى تهدد المنطقة ، ويُفترض أن الشرح قد نُوِّن قبل عام 63 ق.م. لأن الرومان غزوا أورشليم فعلاً في تلك السنة ، وكانت لهم الغلبة والسيادة على فلسطين لقرون مديدة ، كما نعلم ذلك من "العهد الجديد" أيضاً.

وفي موضع آخر يرد في شرح للأصحاح الأول (14 - 16) من حَبَقُوق 11 ما يلي :

" ... وأنهم (أي الكتيم) يجمعون ثروتهم ، كما يُجمَع السَمَكُ من البحر ."

وحيث يقول حبقوق: "لذلك تُنَجِّح لشبكتهما وتُبْخِر لمصيدتها لأنه بهما سَمِنَ نصيبها وطعامها مُسْمِنٌ" ، فمعناه ، أنهم يضحون لأعلامهم ويعبدون

11 سفر حَبَقُوق : الأصحاح الأول (14 - 16): "كالدبابات لا سلطان لها . تُطَلَعُ الكَلُّ بشخصها وتصطادهم بشبكتهما في مصيدتها فلذلك تفرح وتبتهج . لذلك تُذْبَح لشبكتهما وتُبْخِر لمصيدتها لأن بهما سَمِنَ نصيبها وطعامها مُسْمِنٌ ."

أسلحتهم". وهنا يظهر بجلاء أن تفسير حبقوق يقصد الرومان ، حيثما يتحدث عن الكتيم . فقد عُرِف الرومان في سالف الأيام - لدى اليهود بسوء صيتهم - بأنهم يُضدّون لأعلامهم ويعبدون سلاحهم ، لأنهم كانوا يعدّونهم رموزاً للآلهة . وغير ذلك مما يُقال عن الكتيم ، ويُشير الى الرومان . ما جاء في شرح حبقوق الأصحاح الأول (8 - 9) إذ يقول: "هذا يعني الروم ، الذين يزلزلون الأرض بحوافر جيادهم ودوابهم . من أقاصي الأرض أتوا ، من سواحل البحر أتوا ليفترسوا الشعوب كأنهم نسور لا تعرف الشبع أبداً ... والى آخره . " . وفي موضع آخر يرد عن الكتيم بأنهم : "يُهينون الكبار ويحتقرون المبجلين ، ويستتهزأون بالملوك والأمراء ، ويعاملون الشعوب بسخط وفضاظة ، ويشيعون في نفوسهم الرعب والهلع . ويحاصرونهم بحشود من البشر ليقهرونها ، وبالخوف والرهبة يستسلمون بين أيديهم". وأخيراً يرد ما مفاده: "... الكتيم ، الذين يهلكون الكثيرين بحدّ السيف : الشباب ، والرجال والنساء والأطفال ، ولا يرحمون حتى النساء الحوامل". وهذه العبارات تعكس صورة جليلة عن سلوك جيوش الرومان ، حينما أخذت تنتزع سيادة العالم .

وصف الرومان له قيمة عظيمة ، في ما يتصل بمحاولاتنا تحديد زمن الأحداث التي يتم وصفها في لفائف المخطوطات . فشرح حبقوق يكون قد تم تدوينه

على الأقل في نحو عام (80 - 100 ق.م)، حينما أجتاح الروم البلاد المجاورة لفلسطين وباتوا يشكلون خطراً يهدد اليهود .

"الكاهن الشرير" و "مُعَلِّم الحق"

نود الآن أن نختبر مدى توافق سائر المعلومات التاريخية الواردة في النص مع أحداث ذلك العصر . العسير - وربّما الممتع - في شرح حقوق هو أنه لا يُشير إلى أي شخصية أو حاكم بإسمه الصريح ، بل يذكر على الدوام أسماء مستعارة ترمز إليهم ، فمثلاً يدعو الرومان بالكثيم وهكذا في مجمل النص ، فهو يتحدث عن "مُعَلِّم الحق" و "الكاهن الشرير" ، ويظهر أنهما في خلاف مستديم ، والكاهن الشرير بلا ريب يُراد به رئيس كهنة أورشليم ، لكن أي رئيس كهنة هو؟ أنه لمن الصعوبة معرفة ذلك .

وكما هو جلي فإن "مُعَلِّم الحق" هو زعيم جماعة قُمران ، رغم أننا لا نعلم مَنْ هو في الواقع! فهل هو شخصية معينة نعرفها من خلال كتابات يهودية أخرى؟ دعنا نسمع ما ورد عن الشخصيتين الرئيسيتين ، لنحاول من ثم إماطة اللثام عن الشخص الذي يتستر خلف الإسم المستعار .

يوصَف "معلّم الحق" بأنه رجلٌ له القابلية على تأويل العهد القديم وسائر أسفار الأنبياء "وهو الشخص الذي كشف له الربُّ الستار عن كل الأسرار في ما ورد من كلام أنبيائهم" قد قوّم سلوك رجل يُعدُّ "رجل أفك"، الذي يرمز على ما يبدو إلى "الكاهن الشرير" بعينه . علاوة على ذلك نرى أن "معلم الحق" هو زعيم شيعة من المريدين اليهود . ومما لا ريب فيه أنها الجماعة التي شكّلت طائفة قُمران ذاتها وهاجرت الى منطقة البحر الميت . وتُعتَبَر على أنها جماعة "رجال الحق" أي "الذين يحفظون الشريعة في اليهودية"، ولا شك أن "الرب سيُخَلِّصهم من دار القضاء نظراً لسعيهم وإيمانهم بمعلّم الحق" . وأخيراً يظهر بوضوح أن "معلّم الحق" ومريديه قد تمت ملاحظتهم وأضطهادهم على يد "الكاهن الشرير" كبير أحرار أورشليم ، حيث يرد ما مفاده أن الحبر الأعظم لاحق معلّم الحق ليبتلعه بأذى قسوته ، حتى وهو في ملأه... إلخ" .

ويظهر بجلاء أن نحلة من اليهود المريدين قد تبعوا "معلّم الحق" وهم يمتلكون إمكانية مميزة في تفسير العهد القديم ، وهو في نزاع مستحكم مع الحبر الأعظم في أورشليم ، الذي تصوّف بالضد من أحكام شريعة الربِّ . وبالمقابل فقد لاحقه الحبر الأعظم حتى في قُمران، لكن يا ترى مَنْ هو معلّم الحق في الواقع ، هذا ما لا نستطيع التوصل الى حقيقته . فإسمه الحقيقي لم يرد ذكره قطّ .

على النقيض من ذلك يوصف خصمه اللدود "الكاهن الشرير" في المصادر الحديثة بأنه وغد شرير يتسم بحيوية ونشاط أكثر من البطل . وكذلك في شرح حبقوق! دعنا نطلع على بعض مما يُروى عن آثامه وشروره ونحاول التعرف على الشخصية الحقيقية "للكاهن الشرير" . ففي موضع من شرح سفر حبقوق يتم تفسير جملة على النحو التالي: "هذا يعني أنه الكاهن الشرير، الذي نُصِبَ بإسم الحق في بداية تولّيه لمنصبه ، غير أنه ما أن بدأ يحكم إسرائيل حتى تعجرف وخان الربّ وأنتهك الشريعة من أجل المال" . يفهم من هذا أن طائفة قُمران كانت في بداية حبرية الكاهن المعني قد منحتة الثقة والولاء ، الأمر الذي يتم وصفه بتعبير غريب: الذي نُصِبَ بإسم الحق وغير ذلك ... " غير أنه فيما بعد خيَّب آمالهوخان الربّ والشريعة .

هذا المنحى ينطبق على غالبية الدُكام الهسمونيين (لحشمونيين)، لا سيّما إثنين منهم ، ألا وهما: يوهانيس هيركانوس الذي حكم ما بين عامي 134 - 104 ق.م. وألكسندر جانيوس الذي حكم ما بين عامي 103 - 76 ق.م. وهنا تكمن إشارة واضحة الى العقد الزمني الذي ينبغي علينا التركيز عليه للبحث عن "الكاهن الشرير" .

ويتابع النص ليقول عن "الكاهن الشرير" ما مفاده : بسبب آثامه بحق معلم الحق ومريديه سيُسلّمه الربّ بأيدي أعدائه "ليذلوه بضربة ماحقة أو بوباء

وعذاب نفس بسبب آثامه ضد أتقياء الله". وهنا نرى أن الكاهن الشرير قد حلّت عليه المصائب والنوائب إما بهزيمة عسكرية نكراء أو بأستشراء وباء وبيل . وحال تفسير ذلك بطريقة أو بأخرى نجد أن الوصف ينطبق على ألكسندر جانبيوس، الذي دُجِرَ في إحدى حملاته ثم قضى نحبه أثر وباء مُريع . تُشير هذه السطور الى أن المقصود هو ألكسندر جانبيوس وليس سواه. وثمة مواضع أخرى تتطابق تماماً منهُك ، فمن جهة ، النص " الذي ذكرناه بخصوص ملاحقة الكاهن الشرير لمعلم الحق ومريديه الأتقياء حتى في ملاذهم الصحراوي ، ومن جهة أخرى ، نص " آخر يتحدث عن الكاهن الشرير وما يقترفه من ظلم ضد الفقراء وكيف أن "عاره فاق شرفه ، ولم يُتَبَّ الى رشدّه، بل ظل تائهاً في دروب الضلال لأشباع غرائزه". ويروي يوسيفوس بالضبط ، أن عدداً بين أوساط الأتقياء في أورشليم لم يكن راضياً عن أسلوب ألكسندر في الأمساك بزمام منصب كبير الكهنة ، فأنتفضوا ضده ، وراح ضحية أنتفاضتهم نحو 600 نفس من الأتقياء . ويتابع يوسيفوس بأنه قضى نحبه بمرض مردّه الأسراف في أشباع الشهوات . فأوجّه الشبه كبيرة وكثيرة إلى درجة لا نستطيع معها الأرتياب في أن ألكسندر جانبيوس هو الرجل الذي يتخفى بلقب "الكاهن الشرير" . وفي حال جزمنا بذلك فبوسعنا تبعاً لذلك إرجاع تاريخ نشوء الطائفة - أي بداية ظهورها - الى عهد ألكسندر جانبيوس .

والآن نعود الى كيفية تحديد نتائج البحوث من خلال المخطوطات، أي مواد التدوين والجرار الفخارية ، فضلاً عن التحليل الذري، والتي أشارت جميعها الى عهد قريب من زمن ولادة السيد المسيح . فقد جعلنا فحص النقود نخطو خطوة إلى الأمام ، حيث حدد تركيزنا في البحث على الفترة الزمنية الممتدة ما بين عام 150 ق.م. وعام 70 للميلاد .

كما أن البحث أظهر أن تعبير (الكتيم) تصدّد به الرومان الذين أنصبّ عليهم التفكير في الفترة الممتدة ما بين عامي (100 - 80 ق.م.)، والبحث عن شخصية الكاهن الشرير يُشير بما لا يحتمل الشكّ إلى ألكسندر جانْيوس ، الذي حكم في (104 - 76 ق.م) .

كشف تفسير حبقوق أن ظهور الجماعة يعود الى عهد ألكسندر جانْيوس ، غير أنه ما من مخطوط من مخطوطات البحر الميِّت يحمل معلوماتٍ تاريخية عن المدّة التي أستمرت خلالها الجماعة في الوجود . وهنا يمكننا الأستنتاج على ضوء النتائج التي توصلت إليها حفريات الخرائب ، التي تُشير بلا ريب إلى أن الجماعة أنفرط عقدها وتبدد شملها بعد أجتياح الرومان للمبنى المُطل على البحر الميِّت وقيامهم بقتل مَنْ قتلوا وتشرّيد مَنْ شرّدوا من قاطنيه (عام 70 للميلاد) . ولا يُعتَقَد وجود أي آثار مباشرة لجماعة قُمران لدى اليهود في تاريخهم اللاحق ، خلا لفائف المخطوطات التي أفلح المرء في أخفائها - قبل

وقوع الهجوم الروماني - في الكهوف والمغاور القريبة . تلك المخطوطات التي تنطق اليوم وبعد مضي ألفي سنة على تدوينها لتنبئنا عن أخبار وأحوال تلك الجماعة الصحراوية .



ماتاثياس



ألكسندر جانيوس (103 - 76 ق.م)

الدُّرَج النحاسي

ثمة دُرَج يُلقِي ضوءاً غريباً على الأيام الأخيرة للجماعة في قمران ، دون التطرُّق مباشرة الى مصيرها النهائي ، ويُعدُّ الأكتشاف الأكثر غرابة وأبهاماً ، ألا وهو الدُّرَج النحاسي الذي تم العثور عليه في قمران.

تحدثنا فيما مرَّ كيف حثَّ متحف رُكفيلر الحُطى في العام 1952 لأستباق البدوين وذلك بإيفاد بعثة أستكشف الى المنطقة ، مهمتها القيام بالتنقيب عن

المزيد من الكهوف في المنطقة ، التي عُثِرَ فيها على المخطوطة الأولى . ويُقال أيضاً أنه تم العثور على ما يُقارب الأربعين كهفاً تضم جِراراً ، كان البعض منها يحتوي على مخطوطات . وقد تم العثور في الكهف الذي يحمل الرقم (3) فضلاً عن الجرار والمخطوطات على ملف نحاسي ، كان قد أنشطر نصفين . ويبلغ سُمُك الصحيفة النحاسية مليمترًا واحدًا ويبلغ طولها مترين ونصف المتر ، أما عرضها فيبلغ ثمانية وعشرين سنتمترًا . ومن الممتع أنه لم يتعذر ملاحظة الكتابة التي كانت موجودة على السطح الداخلي للصفحة النحاسية الملفوفة . وقبل أن يتمكن المرء من قراءة تلك الكتابة واجهته جملة مشاكل تقنية ، حيث أن النحاس كان قد فقد مرونته تماماً بفعل عوامل الأكسدة الكيماوية على نحو غدت معه كل محاولة لبسط الليفة النحاسية محفوفة بمخاطر تعرضها للأنكسار أو التلف ، ولم يجد المرء بُدًا من تقطيع الملف الى ثلاثة وعشرين شريحة ضيقة ، يبلغ طول كل منها ثمانية وعشرين سنتمترًا ويتراوح عرضها ما بين (10 - 12 سنتمترًا). فظهر أن الصحيفة النحاسية تحمل نصوصاً موزعة على أعمدة - تماماً كما هو الحال مع سائر مخطوطات الرِّق - فكان هنالك إثني عشر عموداً يحتوي كل منها على (14 - 15) سطرًا قصيراً من الكتابة .



الدُّرَج النحاسي



قطعة من دُرَج الحرب

إذن ماذا كانت تحمل تلك الصحيفة ؟ كان من المؤمل منذ البداية أن تحمل نصاً على جانب كبير من الأهمية . فهي ولا شك تحمل نصاً دينياً خطيراً ، قد يكون على سبيل المثال ، نظام حياة الطائفة! لكنه ظهر فيما بعد أن الصحيفة تحمل شيئاً مغايراً تماماً - أي أنها تحمل قائمة بالكنوز المخفية! وفي ما يلي جانب من نصوصها:

"عند حوريبه ، الواقعة في وادي آكور ، تحت المدرجات المواجهة للشرق قد تم أخفاء أربعين أليناً¹²: صندوق نقود يبلغ وزنه الأجمالي سبعة عشر طالناً¹³".

" ما بين شجرتي الطرفاء الناميتين في وادي آكور ، وسط المسافة ما بينهما تماماً، قد أخفيت بعمق ثلاثة أليناً: جرّتان مملوءتان بالفضة".

"في جبل غاريزيم ، تحت المدرجات المؤدية الى السدّ العلوي هناك: صندوق يحتوي على ستين طالناً من الفضة".

"في البئر الواقع أمام البوابة الشرقية ، على مسافة خمسة عشر أليناً قد تم أخفاء بعض المزهريات".

12 ألين : وحدة لقياس الطول تعادل قدمين أو 0.627 متراً تقريباً : ذراع .

13 الطالان أو التالينيت : وحدة لقياس الوزن وقيل وحدة نقد قديمة .

"في البئر الكبير الذي يُغطّيه حجر مثقوب ، الكائن في الباحة الأمامية ذات المدخل الأسطواني الصغير، في زاوية القعر إزاء الفتحة العلوية يوجد : تسعمائة طائناً".

التنقيب عن الكنوز

تمت قراءة النص بصعوبة بالغة - وبدأت حملة التنقيب عن الكنوز المذكورة فيه!.

فالقائمة تضم ستين موضعاً ، معظمها يقع إمّا في المنطقة الممتدة ما بين أريحا وقُمران أو يكمن داخل أورشليم وضواحيها . الموضوع الأول الذي ورد ذكره في تلك النصوص يشير الى مكان في وادي أكور ، الذي يقع على مقربة من أريحا ، لكننا لا نعلم أهو الى الشمال أم الى الجنوب من أريحا . وحورية غير معروفة لدينا ، أما شجرتا الطرفاء المُشار إليهما فلم يعد لهما أثر - بلا شك - بعد مضي كل هذه القرون . فيغدو تحديد مواضع الكنوز المذكورة في النصوص أمراً عسيراً. أما جبل غاريزيم فيقع بالقرب من سيكيم على مسافة خمسين كيلومتراً شمالي أورشليم القدس، والسدّ العلوي لا يمكننا تحديد موضعه . أما النّصان الأخيران الآتفا الذكر فيشيران الى أماكن قرب الهيكل المقدّس ، وهي

منطقة شاسعة مترامية الأطراف لا نعلم عن ملامح تركيبتها في عهد السيد المسيح شيئاً . وقد جرى البحث بالطبع في أماكن شتى لكن دون جدوى . فهل هناك مَنْ عثر على الكنوز قبلنا في الأزمنة الغابرة؟ أم أنه لم تكن ثمة كنوز قط؟ أم أن المرء قد ضل طريق البحث؟ وعلى أي حال فقد تعمّد واضعوا القائمة الغموض والأبهام في وصف مواقع كنوزهم ، فربما يكون وصفهم مجرد رموز (شيفرة) لا يُمكن فك طلاسمها دون الحصول على مفاتيح أسرارها .

لو حسبنا مجمل ما ورد في النصوص من مبالغ ، لوصلنا الى مقدار 4.360 طائِن من الذهب والفضة (والطائِن الواحد يعادل 30 كغم). وهذا يُبيِّن أن الأمر يدور حول ما يقارب 140 طناً من الذهب والفضة أي ما يعادل ملايين الدولارات . وعلى أي حال فالكنوز تُشكِّل ثروة طائلة .

لو افترضنا أن كنوزاً بهذه القيمة الباهظة لا تزال تقبع هناك ، بعد أن أُخفيت في زمن ما! فمن ذا الذي قام بإخفائها ولماذا فعل ذلك؟

يُفهم من النصوص في أكثر من موضوع أن تلك الثروة هي مُلك الهيكل ، وعلاوة على الذهب والفضة يرد ذكر البخور وثياب الكهنة وما شابه . فبوسعنا التصوّر أنه زهاء العام سبعين للميلاد ، حين فتح الرومان القدس وأضرموا النيران في الهيكل ، كان قد تم سلفاً نقل الكنوز وأخفائها خارج أورشليم لتكون في مأمن

من عبث الرومان. أما قائمة مواضع الكنوز المخفية فيُحتمل وصولها الى
قمران عن طريق أحد الكهنة الفارين من بطش الرومان أثناء حرقهم الهيكل .
هذا الرأي لا يُجمع عليه معظم الباحثين ، فالعديد منهم يرون ، أنه من غير
المعقول أن تكون هذه الثروة الطائلة بحوزة هيكل القدس ، فالأرقام مبالغ
فيها ولا تمتُ الى الواقع بصلة كما يُشيرون الى أن النص مُدوّن بأسلوب ساذج
لا علاقة له بأسلوب الوثائق الرسمية . ومن الممكن فهم النص من منظور آخر ،
حيث تتضمن مختلف الكتابات اليهودية المعاصرة للمسيح عدة تقارير عن
كنوز الهيكل عبر العصور، فقد تصوّر المرء ، مصير الكنوز الثمينة التي نهبها
نبوخذ نصر من الهيكل يوم دمره البابليون عام 587 ق.م ، فهل يمكن أن تكون
المخطوطة النحاسية تعبيراً عن تصوّر من هذا النوع ، الذي حصلت على زخم
جديد حين دمّر الرومان الهيكل في العام 70 م ؟ . إذن المسألة لا تتعدى كونها
رواية لتقليد شعبي دارج ، ولا وجود لأية كنوز في الحقيقة والواقع بعد أن نهبها
البابليون في العام 587 ق.م وأعاد الرومان الكثرة في العام 70 م .
لا يُعدّ هذا الافتراض جواباً شافياً وافياً لحل لغز كنوز الهيكل ، غير أنه طالما لم
يتم العثور على أي من مواقع أخفاء الكنوز سيظل السؤال مطروحاً بكل
الاحتمالات .

الفصل السادس

تعاليم وعقائد جماعة قُمران

الفريسيون و"الأتقياء"

سبق لنا الإشارة الى جماعة قُمران بوصفها بالطائفة أو الشيعة ، وبذلك يتوجه تفكيرنا الى أن الطائفة قد أحتجّت على الديانة الرسمية السائدة في البلاد مما حدا بها الى النأي بنفسها عن سائر يهود أورشليم والعيش في مجتمع منعزل . ولن يتسنى لنا فهم التعاليم الدينية لطائفة قُمران قبل التعرف على الخلفية التي إنبثقت منها ألا وهي اليهودية الرسمية الشائعة في أورشليم والتي أنفصلت عنها وأثرت الأنعزال .

سبق وأن سمعنا عن ثورة اليهود بقيادة ماتاثياس وأنجاله ، كما سمعنا أيضاً عن جماعة اليهود الأتقياء المدعويين بالهـَـسيديين الذين أنضموا الى الثائرين ، لكنهم اختلفوا فيما بعد مع الحكام الهسمونيين . وسيحظى الهـَـسيديون فيما بعد بأهمية بالغة ، فمنهم أنحدر الفريسيون بالتأكيد .

يعطينا العهد الجديد (الأنجيل) صورة سيئة تماماً عن الفريسيين ، لكن من وجهة نظر يهودية فأنهم يشكّلون فئة ذات شأن في اليهودية . فبدون حرصهم

وغيرتهم المتوقدة على الشريعة لما أستطاعت اليهودية الأحتفاظ بسماتها الخاصة عبر العصور . وهُم الذين سعوا من أجل جعل الشريعة التوراتية أساس ودستور لحياة الشعب . فصدّ لوا أحكام الشريعة لتراعي كل وضع محتمل . فعدا التقيد بمواد الشريعة يشكل بالنسبة لهم جوهر حياتهم الدينية ، وهو عين الموقف الذي أحتج عليه يسوع المسيح ورفضه فيما بعد ، وقد سبق لجماعات يهودية أيضاً الأحتجاج عليه قبله . وأزاء جماعة الفريسيين المتسمة بالعقلانية ظهر تيار تقوي ذا طابع عاطفي لدى أناس أتقياء من العامة ، رجّحوا الجانب العاطفي على الجانب العقلاي ، ولم يستوعبوا آلاف الشرائع التي طرحها الفريسيون ، فتعلقوا برجاء المستقبل . وبالنسبة إليهم لعب الرجاء في ظهور المسيح وحلول مملكة الله الجديدة دوراً أكثر أهمية ، وشرعوا يتأملون بعمق في كيفية تشكّل المستقبل الجديد ، وكان شمعون وحنة اللذان يرد ذكرهما في "العهد الجديد" من المنتمين الى جماعة "الأتقياء" .

يلعب كل من هذين التيارين الرئيسيين في الديانة اليهودية دور ملموس في فهم جماعة قمران . وعلى ما يبدو فإن أصول الجماعة تعود الى جماعة الفريسيين ، غير أنها تبديت سماتها فيما بعد ، وأخذت توجه الأنتقادات الى الفريسيين وتميل الى "الأتقياء" .

إذا ما نظرنا الى المخطوطات القديمة لجماعة قمران ، سيتكوّن لدينا أنطباع واضح بأن الجماعة قد إنبثقت من الفريسيين ، حيث نقف على سلسلة طويلة من التشريعات التي تخص كل الشؤون والمسائل ، خاصةً ما يتعلق بالتطهير والسبت والأضحية والقسم وغيرها من الأمور الدينية ، التي كانت شائعة لدى الفريسيين في ذلك العهد وفي العهود اللاحقة . لكن حينما نلتفت الى كتاب الطائفة نلقى نبرة مختلفة تماماً عما كانت عليه لدى الفريسيين ، فلا نجد أثراً لشرائع الفريسيين باستثناء قوانين الأجماع التشاوري . بل على العكس فكتاب نظام الطائفة يعطي أنطباعاً عن تقوى ذات سمة عاطفية نألها في اليهودية الى جانب الفريسية .

آخر الأزمنة

إبان الفترة الزمنية التي تم خلالها تدوين نظام الجماعة ، عاش أعضاؤها على رجاء راسخ لما هو قادم . فالطائفة ترى أن آخر الأزمنة تقف على عتبة الباب ، والرب سينهي دورة الحياة عاجلاً ، وسيظهر المسيح . أما "أبناء الظلام" الذين يسودون حالياً بزعامة الشيطان فسيلقون جزاءهم مثلما سينال "أبناء النور"

أجرهم . و"أبناء النور" أولئك ما هم إلا أفراد الطائفة ذاتها ، بينما يمثل "أبناء
الظلام" أعداء الطائفة . نعم ، كل أولئك الذين لا ينتمون الى الطائفة .
كان أعضاء طائفة قُمران على قناعة و يقين راسخين من أن الله قد أصطفاهم
من دون غيرهم ليكونوا "أبناء النور" . فإلهه قد منح إسرائيل عهده منذ بدء
الأزمة، غير أن إسرائيل نكثت العهد ، فأختار الربّ الطائفة القاطنة على
سواحل البحر الميِّت ، لتكون هي إسرائيل الحقيقية بدلاً من إسرائيل التي نكثت
العهد . وفي قفر الصحراء وعزلتها سينتظرون نهاية الأزمنة ، وهي الوحيدة
التي سَتَرِثَ المجد ، الذي وعد به الرب . وكان لكلمة وردت في سفر النبي أشعيا
وقع كبير لديهم ، إذ رأوا أنها تُنبئهم بما ينبغي عليهم فعله ، ويقول كتاب
الطائفة : على الطائفة النأي بنفسها عن عصبة الرجال الأشرار واللجوء الى
الصحراء لتُعَيِّسُ بُلُ الرب هناك ، كما جاء في سفر أشعيا النبي: " صوتٌ صارخُ
في البرية أعدوا طريق الربّ قوِّموا في القفر سبيلاً لإلهنا . " 14 . وتم تأويل ذلك
بأن على الطائفة الأنعزال عن يهود أورشليم والتوجه الى قُمران في الصحراء
حيث سينتظرون ويستعدّون لنهاية الأزمنة بمجيء المسيح وهلاك الأشرار .
كيف ينبغي على الطائفة الأستعداد لحلول الأزمنة الأخيرة؟

يتم الأستعداد بدراسة الكتاب المقدّس . وعلى الرغم من أن طائفة قُمران كانت قد نأت بنفسها عن الأختلاط بالفريسيين إلا أن الشريعة ظلّت تلعب دوراً مهيمناً على حياتها الدينية . سبق لنا الحديث عن كيفية نهوض أعضاء الطائفة في منتصف الليالي للمشاركة في دراسة الكتاب المقدس ، إلا أنهم يدرسون الكتاب المقدس بطريقة تختلف عن الفريسيين ، فهم لا يطرحون عدداً هائلاً من الشرائع المعتمِدة على العهد القديم كما يفعل الفريسيون لأن الغاية التي تحتل المرتبة الأولى في قُمران هي ألتزام التواضع والصدق والعدالة ومحبة الآخر ، التي يجدها المرء أيضاً في أسفار الأنبياء .

أزداد أهتمامهم بالمستقبل على ضوء دراسة أسفار الأنبياء . والأهم في الأمر هو أن الطائفة تنتظر ظهور مَسِيحَينِ إثنين ، أحدهما من نسل داود ، أي سلالة الملوك ، وهذا أمر مألوف في الديانة اليهودية ، أما المسيح الآخر فينحدر من سلالة الكهنة ، اللاويين . ويُطلقون على الأول إسم : المسيح من إسرائيل ، أما الثاني فيدعونه بالمسيح من نسل هارون .

دُرج الحرب

قبل أن يتم العثور على الدُرج النحاسي ، كان نُوج الحرب - بلا ريب - يُعَدُّ المخطوطة الأكثر إثارة بين مخطوطات البحر الميِّت لدهشة الباحثين ، الذي كان واحداً من الأدراج الكبيرة التي أبتاعتها الجامعة العبرية من كندو في تشرين الثاني (نوفمبر) 1947 . يبلغ طول الدُرج زهاء الثلاثة أمتار ويحتوي على تسعة عشر عموداً ، ينقصها ثلاثة أو أربعة أسطر من طرفها السفلي ، ولحسن الحظ فإن القسم الأكبر من المخطوطة قد حُفِظ على نحو مقبول .مَطْلَعُ المخطوطة غريب:"قوانين الحرب . شروع أبناء النور في الأعداد لرسم مصائر أبناء الظلام وجيش بيلياس وعصابات الأدوميين والموآبيين والعمونيين والفلسطينيين وعصابات الآشوريين الوثنيين، الذين يحظون بدعم أولئك الذين نقضوا الميثاق". "أبناء النور" - أي جماعة قُمران" - سيخوضون الحرب ضد "أبناء الظلام ، الذين يوصفون بالأدوميين والموآبيين والعمونيين والفلسطينيين والآشوريين ، أعداء إسرائيل التاريخيين . كل أولئك الأعداء الوثنيين ينالون الدعم من الذين نكثوا العهد ، وعلى ما يبدو فإن المقصود بذلك هم اليهود الذين لم ينضموا الى جماعة قُمران .

وتُطلعننا الصفحات التالية من المخطوطة على شرح مفصل لمجريات الحرب: "نظام توزيع الفصائل المقاتلة ، حين يتم تزويد قوته العسكرية لتشكيل الجبهة: يضم خط المواجهة ألف رجل ، وكل صف قتالي يتألف من سبعة خطوط مواجهة يتم ترتيبها بحيث يقف كل رجل خلف الآخر . كلهم مجهزين بتروس نحاسية مصقولة براقه ..إلخ." وتتابع المخطوطة: "وسبعة صفوف من الفرسان يتوزعون على ميمنة وميسرة صفوف القتال ، ليكون 700 فارس على جناح و700 فارس على الجناح الآخر ، ومائتين من الفرسان سيتقدمون مع ألف مقاتل من المشاة وهكذا سيتواجدون على جميع جوانب المخيم ، ويكون المجموع الكلي 4.600 رجل". ويتخلل أنظمة التكتيك العسكري هذه فجأة فقرة ذات صفة دينية: "وعندما يتوجهون للقتال ، يُكْتَب على رايتهم: (صِدْقُ الله) و(عدالة الله) و(شرف الله) و(حق الله) ألخ . وفي النصف الأخير من النص تشتد النبرة الدينية: فالكهنة يلعبون دوراً مميزاً في الحرب، سبعة كهنة سيخرجون معهم، وسيتحرك أحدهم جيئةً وذهاباً أمام الرجال المقاتلين ليشد أزرهم في القتال : أما الستة الآخرون فسيحملون أبواقاً للنداء وأبواقاً للأستغاثة وأبواقاً لصيحة الحرب وغيره . " وبمواصلة قراءة النص نقف عند صلوات وأوراد يتلوها الكهنة قبيل وأثناء القتال وبعده ، ورويداً رويداً يتضح لنا أن الحرب لا يُقصدَ د بها محاربة أبناء الطائفة لأعداء إسرائيل والضالين من بني

إسرائيل ، إنّما المقصود هو حرب الرب وجنده من الملائكة ضد قوى الشر في العالم .

كيف ينبغي علينا فهم هذا النص الغريب؟ فهو ليس تعبير عن حرب إسرائيل ضد الأدوميين والفلسطينيين وسائر الأعداء في الأزمنة الغابرة . كما أنه لا يتحدث عن ثورة اليهود ضد السوريين أو ضد خصوم داخليين في المئة الثانية ق.م ، وعلى الرغم من أن هذه الحرب تحمل طابعاً دينياً، فإن وصف المخطوطة لها يتسم بطابع ذكريات حروب سابقة ، والتكتيك الذي يتم وصفه بدقة متناهية في النص يُشير الى المبادئ العسكرية المتبعة في القرون القريبة من ميلاد المسيح . غير أن الأمر يدور حول المستقبل ! فالحرب هي التي تنتظر طائفة قمران أندلاعها قبل ظهور المسيح وقيام مملكة الله على الأرض . الحرب التي سيتم فيها القضاء على الشيطان وأتباعه ولن يبقى على قيد الحياة سوى المخلصين من أبناء طائفة قمران .

جماعة قمران والمسيحيون الأوّلون

كلنا نعلم أنه في غضون هذه الفترة الزمنية نشأت طائفة يهودية ثانية : المسيحية . فالحواريون وأعمال الرُّسل تُحدِّثنا بأسهاب عن التاريخ المبكر

للمسيحية ، لكن رغم ذلك فإن هناك الكثير مما نجهله ، وكم كان ممتعاً لو أستطاع اكتشاف نصوص مخطوطات قُمران بشكل أو بآخر مساعدتنا في سدّ الثغرات الموجودة في معلوماتنا عن نشوء المسيحية . وهكذا آمال كانت تراود الباحثين أيضاً حينما أدركوا أن نصوص البحر الميت ترقى الى عهد قريب من ميلاد يسوع المسيح ، إلا أن دراسة النصوص خيبت ظنهم ، حيث لا يُذكر للمسيح أو المسيحيين والمسيحية ولو بكلمة واحدة في تلك النصوص . فجماعة قُمران كانت منهمكة بمشاكلها الخاصة ولم تُولِ أي أهتمام بسائر الشُّيخ والنحل التي أنشقت عن الطائفة في أورشليم .

بعض الباحثين لم ينل اليأس من عزمهم ، فأفترضوا – والباحث الجيد ينبغي عليه الافتراض – لكن بحذر شديد ، أفترضوا أن المسيح كان على صلة بجماعة قُمران . فأشاروا الى ما ورد في الأنجيل حول خروج المسيح الى البرية ومكوته فيها لمدة أربعين يوماً 15 ، كما نسمع عن علاقته بيوحنا المعمدان ، الذي كان يطوف البرية على شواطئ نهر الأردن . فمن المنطقي أن يكون كلٌ من يسوع

15 إنجيل متي : الأصحاح الرابع (1 - 2) : "ثمّ أصدع يسوع الى البرية من الروح ليجرب من إبليس . فبعد

ما صام أربعين يوماً وأربعين ليلة جاع أخيراً . " (المعرب)

المسيح ويوحنا المعمدان في قمران ، نعم ، ربّما كانا كلاهما لفترة ما أعضاء في جماعة قمران .

وكل هذه محضُ افتراضات . والملفت للنظر أن الحواريين لا تتوفر لديهم أي معلومات يُمكن الركون إليها فيما يتعلق بالنشأة الروحية ليسوع المسيح قبل بلوغه الثلاثين من عمره وشروعه بالتجوال برفقة حوارييه . وأي تأثيرات خضع لها في سنوات عمره المبكرة؟ ما الذي أوصله الى ما آل إليه ؟ فهل ستُفْلِحُ الافتراضات حول وجود المسيح لفترة في قمران - أو كونه تلميذا ليوحنا المعمدان ، الذي يُحتمل أنه كان في قمران - في لقاء الضوء على شيء ما ؟

علينا الإجابة بالنفي على هذه التساؤلات . فنحن نعلم أن المسيح قد عارض الفريسيين بلا هوادة ، كما نعلم أن جماعة قُمران قد أدانوا للمسّك المحابي للفريسيين بالشريعة . لكن - كما أشرنا سابقاً - كانت ثمة العديد من التيارات والإتجاهات المتباينة في اليهودية ، التي ناصب الفريسيين العداء . وكانت هناك أوساط من الشعب اليهودي ، ممّن لم يَرُقْ لهم أسلوب الفريسيين في تأويل الشريعة ، إنّما عاشوا حياة تقوى أستعداداً لمجئ المسيح وإقامة ملكوت الله . ومن المؤكد أن المسيح قد أختار حوارييه ومُرّيديه من بين تلك الأوساط ، وربما كان منشأه هو أيضاً في تلك الأوساط . وفيها تلقى التأثيرات الأولية . وفي الواقع ما من سبب للأعتقاد بأن ذلك قد جرى في قمران ، لأن المرء عاش في قمران أيضاً

على رجاء ما سيحلُّ في الأزمنة الأخيرة . لكن الخلاف مع الفريسيين لم يكن حاداً الى درجة والشريعة ودراستها يتم التركيز عليها مراراً في كتابات جماعة قمران . وأعضاء جماعة قُمران لا ينكرون رغم كل شئ أرثهم الفريسي .

رغم عدم توفر ما يدعو للاعتقاد الجازم بوجود صلة ما مباشرة بجماعة قُمران فهناك أشياء في تنظيم الجماعات المسيحية المبكرة تُذكرنا بما نطالعه في نصوص قمران : فالمسيحيون الأولون كان لهم أيضاً نوعاً ما من الثروة المشتركة ، والقربان المقدس لدى المسيحيين يُذكرنا في ظاهره بالمائدة المشتركة لجماعة قمران . وأخيراً فهناك أوجه شبه عديدة في التعابير الواردة في نصوص قمران ونصوص إنجيل يوحنا . والغريب في ذلك هو أن إنجيل يوحنا هو أحدث الأناجيل بلا شك ، حيث تم تدوينه نحو مئة سنة بعد ميلاد المسيح . وقد تكون هناك قنوات اتصال متنوعة بين المسيحيين الأولين وجماعة قمران . من يدري!

إن كان بعض أعضاء جماعة قمران التي أنفرط عقدها بعد عام 70 للميلاد قد انضموا الى المسيحية ؟ فمن الصعب الإعتقاد بعودتهم الى صفوف اليهودية السائدة . وبهذا نكون قد دخلنا في إطار الافتراضات ، وعلينا الأكتفاء بالتأكيد على أن الجماعتين اليهوديتين - جماعة قمران وجماعة المسيحيين الأولين - تعود أرومتهما الى نفس البيئة وهو ما يُفسر أوجه الشبه فيما بينهما . لكن عندما نصل الى جوهر مفاهيم الديانتين تفرق الطرق ، فزعم المسيحيين بأن

المسيح هو ابن الله ، لم يكن من الممكن أن يُقرَّه أهل قمران بأي حال من الأحوال ، وعلينا أن نُصدِّق بأنهم كانوا سيمتعضون مما يُبشِّرُ به المسيح بما يوازي مقدار أمتعاض الفريسيين وكبار الكهنة من تعاليمه في أورشليم .

Dødehavsrullerne

Benedikt Otzen

هذا الكتاب

"مخطوطات البحر الميت" تسمية أُطْلِقَتْ على مجموعة المخطوطات القديمة التي تم العثور عليها في ما بين عام 1947 وعام 1956 داخل كهوف ومغائر الجبال المطلة على الساحل الغربي للبحر الميت ،
ومنذ عام 1947 تواصلت حملات التنقيب في المنطقة وتم العثور على المخطوطات التي نحن بصددنا ، وهي تُلقب الضوء على تاريخ ومعتقدات وتنظيم طائفة دينية متنسكة عاشت في خرائب قمران ومغائرها في المئة الأولى قبل الميلاد . .

ولمخطوطات البحر الميت قصة مشوّقة وطريفة ، لذلك فلا غرابة في ما أثاره اكتشافها من أهتمام واسع وما أحدثه من أثر عميق على تفكير الباحثين في تاريخ الكتب المقدسة ، اليهود منهم والمسيحيين على حد سواء.
ولا يزال ثمة الكثير مما تتم دراسته ومناقشته من نصوص المخطوطات ، رغم أنه لم يتم التوصل حتى يومنا هذا الى أي أجماع في الرأي حول فهم نصوصها ، ولا يزال باب البحث والأجتهد مفتوحاً على مصراعيه .

بنديكت أوتسن (1929) :

كان والده كاهناً فنشأً بنديكت في الوسط الديني ، وأختار لنفسه طريق البحث الذي تفوق فيه منذ شبابه ، فكتب بحثاً عن مخطوطات البحر الميت وهو في الرابعة والعشرين من عمره ، أجاد فيه فنال الإعجاب وكوفئ بميدالية ذهبية وبعثة دراسية الى إسرائيل . فكانت إنطلاقة في مجال الكتابة وصلواته في أفاق البحث فأصدر العديد من الكتب وديح المقالات والأبحاث التي أهدته لنيل الاعتراف العالمي بأعبائه خبيراً في دراسات الكتاب المقدس (العهد القديم) .

خلال الفترة ما بين 1964 - 1993 عمل أستاذاً في جامعة أرهوس وساهم في ترجمة أسفار الأبوكريفا . وفي عام 1992 أُحيل الى التقاعد ، غير أن التقاعد لم يكن بالنسبة إليه خلوداً الى الراحة والأسترحة من عناء العمل ، بل تضاعف نشاطه وزادت همته ، على نحو يفتبطه عليه الشباب ، فجاءت ثمار عطائه شهية في سلسلة من المؤلفات القيّمة ، نذكر منها :

- تعليق على أسفار الأبوكريفا
 - الأدب اليهودي في عهد المسيح
 - يهودية العصور القديمة
- هذا فضلاً عن الكتيب الذي بين يديك.